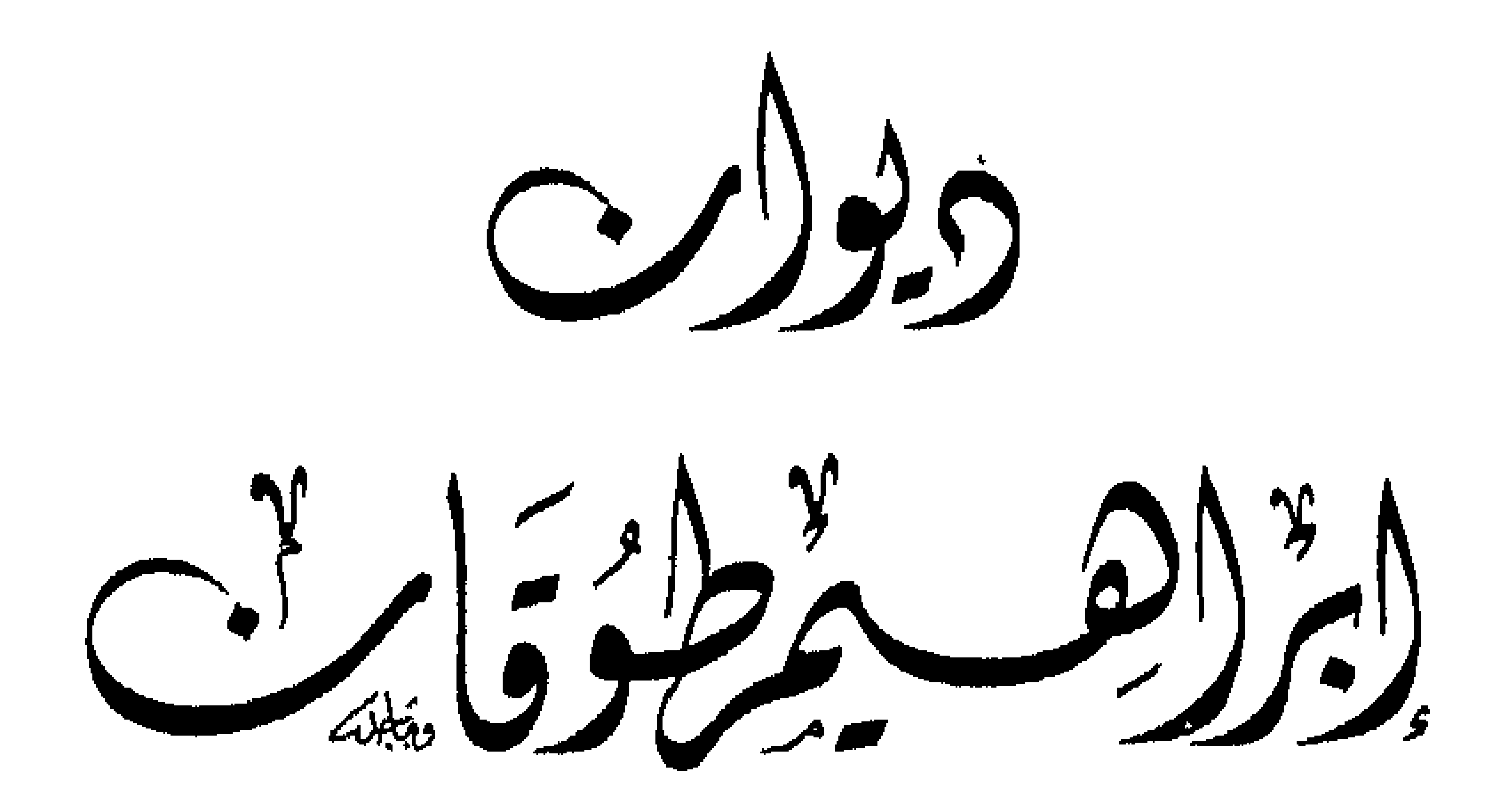


ديوان
ابراهيم
طوقان
دار المسيرة
بيروت
مكتبة المحتسب
عمّان

ديوان

إبراهيم طوقان

ابراهيم عبد الفتاح طوقان



١٩٠٥ — ١٩٤١



مكتبة المحتسب
عمّان



دار المسيرة
بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م



ابراهيم عبد الفتاح طوقان

١٩٠٥ — ١٩٤١

رثاء ابراهيم

للصديق الشاعر جلال أمين زريق

[ألقيت في حفلة التأبين التي
اقامتها كلية النجاح الوطنية في
نابلس بمناسبة مرور أربعين يوماً
على وفاة ابراهيم].

طَوَيْتَ صحائفَ هذي الحيـاةِ ونجمُك في مُستَهَلِّ السُرى
وَشَطَّتْ ديارُك بعد التداني فَواوحْشتا يا أليفَ الصِّبا
تَنَكَّرَ بعدك ضوءُ النهـار وَحالَتْ وجوهُ ليالي الصفـا
وَحزَّ الأسى في نفوسِ الندامى وَحقَّ لها ان تُعاني الأسى

عَجِلْتَ علينا وانت الصبورُ فهل ضِقْتَ ذَرْعاً بِحَمْل الأذى
وكنتَ تَغُصُّ بِحُلْوِ الشراب فكيف استَسَغْتَ مذاق الردى
سعيتَ الى وِرْده مُسرعاً كأنَّكَ تسعى لنيل العلى

وحولَك بُرْدُ الشبـاب القشيب تَرِفُّ بـه حالياتُ المـنى
فواحسرتا للشبـاب القشيب يُوَسَّدُ بعـد الحشا في الـثرى
ويا لَك طيفاً حبيبـاً توارى وحلمـاً تلاشى ونجمـاً هوى

(ابا جعفر) والدُّنى عابرات مَضَيْتَ ولم يُغْنِ عنـك البكا
ولو كان يُغْني عتـابُ المنايا عَتِبْنا ولم نَقْتَصِدْ بالفـدا
ولكن يَعُزُّ علينا الفراقُ ولو كان رَهْناً بحُكْم القضا
فقد كنت فينا غيـاثَ النفوس وراحَ الجليس وانسَ الحمى

ستبكي عليك عذارى القوافي ويشتـاق شدوَك أهلُ الهـوى
وتبكي الحمامُ مع النائحات فتشجَى النفوسُ لرجـع الصدى
وترخِـصُ فيك الدموعَ الغوالي وتشتاق مثلي معينَ الوفـا
وخُلقـاً يحاكي هبـوبَ النسيم وقلبـاً يشعُّ كقطر الندى

سلامٌ عليـك نعمتَ مُقاماً وحيّـا ترابَـك صوبُ الحيـا
تخيَّرَك اللهُ من بَيْننـا فهيّئْ رحابَـك للملتقـى

هذا الديوان..

بقلم: أحمد طوقان

هذا هو ديوان أخي ابراهيم، أضعه بين يديك أيها القارىء الكريم، بعد ان ساعدت الظروف على نشره، غير مدع فضلا في جمعه ولمّ شتاته، فقد كفاني المرحوم ابراهيم مشقة الجمع وعناء البحث بين مفرق الأوراق.

اما السبب في تأخير نشر الديوان حتى هذا العام، فهو ان المرحوم ابراهيم قد اختاره الله الى جواره في اليوم الثاني من شهر مايس سنة ١٩٤١ ميلادية أثناء الحرب العالمية الثانية، أيام كانت الطباعة مراقبة، والأفواه مكمومة، فآثرت الانتظار، حتى يبدل الله حالاً بحال. ثم وضعت الحرب أوزارها، ودخلنا نحن أهل فلسطين في صراع كانت ايامه أشد هولا علينا من أيام الحرب. ثم كانت نكبة العرب في فلسطين، وكانت الكارثة التي أذهلت الناس وشغلتهم عن كل شيء سواها.

قلت ان ابراهيم، رحمه الله وندّى ثراه، قد كفاني مؤنة جمع الديوان، ذلك لأنه جمع ديوانه بنفسه قبل ان فارق دار النكد والفناء الى دار النعيم والبقاء، وانك لتجد بين مخلفاته دفاتر متعددة، كتبت في مناسبات متفاوتة في القدم. فهذه قصيدة أثبتت في المجموعة الأولى، فمر عليها قلمه في مناسبة أخرى فحذفها وكتب عليها (قصيدة مفككة الأوصال باردة العاطفة)، وتلك قصيدة أخرى حذفها بدون تعليق، لاعتقاده ان المناسبة التي قيلت فيها

لم تكن بالمناسبة التي تستحق الخلود. ثم نقل رحمه الله، تلك المجموعة المنقحة مرة أخرى. ولم تنج هذه المجموعة الثانية أيضاً من قلمه، بل اعمله فيها فحذف ما حذف، وأثبت ما أثبت. أما ما ستطالعه في هذا الديوان، فهو بعينه ما كان سيطلع به علينا المرحوم ابراهيم لو مد الله في أجله، وأشرف بنفسه على طبع ديوانه. واما مجهودي، إن جاز لي ان اسميه مجهوداً لضآلته، فهو اني قد وضعت بعض الحركات لتسهل معها قراءة الشعر، وزدت اسطراً شرحت بها بعض المناسبات لمنفعة اولئك الذين لم يعاصروا القضية الفلسطينية منذ نشأتها. فان وجدت ايها القارىء نقصاً فابراهيم بريء منه، فما كان النقص ليبقى لو أشرف، رحمه الله، بنفسه على طبع ديوانه.

وبعد، فها هو (ديوان ابراهيم)، يثير نشره اليوم شجناً، ويجدد حزناً، ورحم الله من قال:

وكنـا اذا ينـآى بـه بـين ليلـة ... يظل على الأحشاء من بينه الجمر

وهـذا إذا كـان الفراق لليلـة ... فكيـف لبين كان موعده الحشر

اخي إبراهيم

بقلم: فدوى طوقان

لا أحب الي من ساعة آخذ فيها مجلسي من امي ، فتحدثني عن طفولة شقيقي ابراهيم رحمه الله؛ ويا له شعوراً حزيناً ، يتسرب في شعاب قلبي ، حين تفتتح حديثها عن ابراهيم بهذه الديباجة التي تفعم نفسي بالرحمة لها، والحسرة عليه: «لقد بلوت في إبراهيم الحلو والمر ، ولقيت فيه من الحزن وطارقات الهموم ، اضعاف ما لقيت فيه من السعادة والهناء.. » وتترقرق في عيني كل منا دمعة؛ وتعتلج في صدر كل منا لوعة؛ ثم تشرع هي ، في حديثها عن طفولة ابراهيم ، وقد اقبلت عليها بحواسي وقلبي وروحي جميعاً.

كان ابراهيم لعوباً الى حد بعيد ، لا يقتصد إذا أخذ بسبب من أسباب العبث واللعب؛ وكأنما كانت نفسه تضيق بإهابه فلا يهدأ ، ولا يستقر. وهو في أحيان كثيرة على خلاف مع جدته لأمه ، رحمها الله ، إذ كان على وفاق مع طبيعته المرحة اللعوب. كان يعرف نزق جدته وضيقها بالضجة والحركة ، فلا يألو جهداً في معابثتها واستفزازها ، وذلك لكي تزجره وتنتهره برطانتها التركية التي كانت تخالطها من هنا وهناك كلمات عربية، لا تستقيم لها مخارج بعض حروفها فتأتي ملتوية عوجاء ، تبعث ابراهيم على الضحك؛ ولقد تهمّ

★ نشر هذا المقال في العدد السادس من (سلسلة الثقافة العامة) التي كانت تصدر أعدادها المكتبة العصرية في يافا.

الجدة باللحاق به ، فيفر منها .. ويتسلق احدى شجرات النارنج التي تمتلىء بها ساحة الدار ؛ وهناك يأخذ مكانه بين الفروع الغليظة الصلبة ، وينتهي الأمر بينهما عند هذا الحد . ثم يشرع ، وهو في مقعده ذاك من الشجرة ، يترنم بالأهازيج الشعبية التي كانت تروقه وتلذه كثيراً .

وانني لأمثل في خاطري ، ذلك الشيخ الوقور ، جدي لأبي ، رحمه الله متربعاً في كرسيه ، مشتملاً بعباءته ، وإلى جانبه حفيده الصغير ابراهيم ، يتقارضان من الشعر والزجل (والعتابا) ما يعيه قلباهما .

وانني لأمثل ابراهيم في خاطري كما يصورونه لي ، واقفاً أمام جده يرتجل ما ينقدح عنه فكرة الصغير يومئذٍ ، من قول يرسله في وصف حادث حدث في البيت ، فيه نكتة ، أو طرافة ... وذلك في عبارات تكاد تكون موزونة مقفاة ، يقلد فيها ما كان يستظهره في المدرسة من شعر ؛ او ما يعيه قلبه من قصص «عنترة» و«أبي زيد الهلالي» و«سيف بن ذي يزن» ؛ تلك التي كثيراً ما أصغى الى أمه وهي تقرأها لجده لأبيه ، في امسيات الصيف الجميلة ، أو في ليالي الشتاء الطويلة .

كان ذلك التقليد من ابراهيم لأسلوب الأشعار التي يحفظها في المدرسة . ولأسلوب القصص التي يسمعها تقرأ في البيت ، يملأ نفس الجد غبطة ، ويفعمها بهجة ، فيأخذ حفيدة إليه ، ويحتويه بين ذراعيه ، ويقول له بلهجة المعجب المتعجب : « .... من أين تأتي بهذا الكلام يا ابراهيم! » . ، ثم يأخذ كيس نقوده من جيبه ، ويتناول منه قطعة ، يقبضها ابراهيم ، وينطلق بها مرحاً خفيفاً ، كأنه طيف من الأطياف .

على مثل تلك المقارضات والمساجلات ، وعلى مثل هذه المحاولة الصبيانية لقول الشعر ، التي كانت تروق الجد ، بما فيها من تسلية لشيخوخته ، والتي كانت تستهوي الحفيد ، بما فيها من اشباع لفطرة شعرية كامنة فيه ، نشأ ابراهيم أول ما نشأ .

وفي هذه الأثناء أيضاً، كان ابراهيم يبعث بالعجب والطرب معاً في نفس معلمه، إذ يقف أمامه وقفته الخاصة كلما قام لينشد الشعر في درس الاستظهار، سواء أكان ذلك الشعر عربياً أم تركياً؛ فيلقيه القاء موسيقياً جميلاً، ينبعث له طرب المعلم، فيشرع، وهو المعلم الوقور، ينقر بأصابعه على المكتب نقرات ايقاعية؛ تساير ذلك الالقاء الرائع الذي كان يزيد في روعته صوت خلاب آسر، عرف له في مواقفه الخطابية فيما بعد.

كانت (المدرسة الرشادية الغربية) حيث تلقى ابراهيم دروسه الابتدائية تنهج في تعليم اللغة العربية نهجاً حديثاً لم يكن مألوفاً في مدارس نابلس في العهد التركي. وذلك بفضل بعض المدرسين النابلسيين الذين تخرجوا في الأزهر، وتأثروا في مصر بالحركة العشرية والأدبية التي كان يرفع لواءها شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء مصر وأدبائها. هؤلاء المدرسون، اشاعوا في المدرسة روح الشعر والأدب الحديثة، واسمعوا الطلاب للمرة الأولى في حياتهم الدراسية قصائد شوقي وحافظ ومطران وغيرهم، وفتحوا اذهانهم على اسلوب انشائي حديث، فيه رونق، وفيه حياة؛ يختلف اختلافاً كبيراً عن ذلك الاسلوب القديم الذي كان ينتهج في المدارس في نابلس، والذي لم يكن ليخرج عن كونه اسلوباً تقليدياً عقيماً، لا تأثير له، ولا غناء فيه.

من هؤلاء المدرسين المجددين، المرحوم الشيخ ابراهيم ابو الهدى الخماش؛ وكان جريئاً صريحاً، ذا نزعة عربية صميمة، ومبادىء وطنية قومية، يجهر بها ويبثها في النفوس عن طريق خطبه وتدريسه ومجالسه؛ وذلك في عهد، كان الجهر فيه بمثل تلك المبادىء، يوفي بأهله على المهالك. وقد التحق فيما بعد بالثورة العربية، تحت لواء المغفور له الملك فيصل.

ومن هؤلاء المدرسين أيضاً، صاحب الفضيلة، الشيخ فهمي افندي هاشم قاضي قضاة شرقي الاردن في وقت مضى.

أمضى ابراهيم أربع سنوات في هذه المدرسة، هي سنوات الحرب

العظمى؛ وانتقل على أثر الاحتلال الانكليزي مباشرة، إلى مدرسة المطران في القدس، وله من العمر أربعة عشر عاماً.

وهنا نعرض لشخصية تعرف بها ابراهيم في القدس، فكان لها انطباع في نفسه في ذلك الحين، تلك هي شخصية المرحوم الاستاذ نخلة زريق، وكان هذا متأثراً باليازجيين، واسع الاطلاع على الآداب الاسلامية العربية، شديد التعصب للغة، شديد الوطأة على كل عربي متفرنج يتهاون في لغته أو عربيته؛ وكان ذا شخصية قومية، لا بدّ من ان تترك في أعماق من تعرف بها، أثراً منها.

كان المرحوم نخلة زريق مدرساً للغة العربية في (الكلية الانكليزية) في القدس؛ فتح عيون طلابه على كنوز الشعر العربي، وحببها إليهم؛ ولقد كان ابراهيم، وهو في مدرسة (المطران) يأخذ من شقيقه أحمد – وكان طالباً في الكلية الانكليزية – منتخبات الشعر القديم والحديث، مما يختاره المرحوم نخلة زريق لطلابه، فيستظهرها جميعاً؛ وعن طريق أحمد، تعرف ابراهيم بذلك المدرس الأديب، فكانا يزورانه معاً في بيته الذي كان محجة العلماء والأدباء في القدس؛ ويصغي إليه وهو يتدفق في حديثه عن الأدب والشعر، والعرب والعروبة.. مما كان له شأن في ايقاظ وعي ابراهيم على مؤثرات أدبية وقومية أخرى.

واذ أتم أحمد دراسته في الكلية الانكليزية، وتوجه الى الجامعة الاميركية في بيروت، ظلت تلك الأسباب موصولة بين ابراهيم وبين المرحوم نخلة زريق، ولكن لمدة قصيرة، إذ توفي الثاني سنة ١٩٢٠.

في هذه الفترة من الزمن، كان ابراهيم يحاول ان يقول الشعر الصحيح، فتلتوي عليه مسالكه، ولا يفلح فيه، إذ لم يكن قد درس علم العروض بعد.

وفي العطلة المدرسية، يعود أحمد من بيروت، ويلتقي الشقيقان في نابلس

وقد حمل أحمد لابراهيم، ما حصله هناك من علم العروض، ويشرح له تفاعيل الأبحر الشعرية ويوقفه على أصول القوافي؛ فيستوعب الشاعر المنتظر كل اولئك جميعاً، وكأنما فتح له فتح في دنيا الشعر التي كان يتشوق إليها ويعقد آماله ومطامحه عليها.

وعلى أثر ذلك، يبدأ ابراهيم يقرزم الشعر قرزمة، ويقوله في المناسبات التي تعرض له، والأحوال التي تمر عليه في مدرسة المطران مما يوحي به الجو المدرسي، بما فيه من جد وهزل.

وفي مجموعة اشعاره التي نظمها خلال عاميه الأخيرين في مدرسة المطران، نحس بالشاعرية الكامنة التي كانت تأخذ عدتها، لتستعلن بعد حين قصير في شعره القوي، كما نلمس تلك الروح الوطنية المشتعلة التي أشربها منذ الصغر، والتي أذابها فيما بعد، في شعره الوطني.

وفي سنة ١٩٢٣ نشر ابراهيم لأول مرة احدى قصائده، ويقول ابراهيم بهذا الشأن:

« ... لعلها أول قصيدة نشرت لي في صحيفة. رحم الله عمي الحاج حافظ!. قرأها، فأبدى إعجابه بها (على سبيل التشجيع) وطلب إلي ان ابيضها لينشرها في الجريدة! في الجريدة؟. شيء يطيش له العقل؛ فأسرعت الى تلبية طلبه، وعنيت بكتابتها قيراطاً، وبوضع اسمي تحتها ثلاثة وعشرين قيراطاً... ثم أتيت بها إليه، قال رحمه الله: « أتضع اسمك هكذا: ابراهيم طوقان؟ لا يا بني! يجب ان تضع اسم الوالد أيضاً، ابراهيم عبد الفتاح طوقان، اعترافاً بفضله عليك، وبره بك... » أدب أدبني به عمي رحمه الله، لا أعلم اني وقعت اسمي بعد ذلك الا تذكرت قوله وعملت به في كل أمر ذي بال أردت نشره ».

ولقد كان من أكبر الأسباب التي أعانته على ان يقول الشعر فيجيده

بالقياس الى صغر سنه، هو كثرة حفظه للشعر المنتخب، واحتفاله الكبير بالقرآن الكريم، فقد كان كثير التلاوة له، عميق النظر فيه. وأما ذلك الاحتفال منه بكتاب الله، فانه يرجع بدواعيه وأسبابه الى بيئة في البيت، يغنى اصحابها بتنشئة أطفالهم على تلاوتـه والتشبع بروحه. ولم ينفك ابراهيم منـذ صغره يقرأ القرآن، ويطيل التأمل فيه، حتى أصبح له ذلك ديدناً، لا يعوقه عنه عائق، ولا يصرفه عنه تقلبه في مختلف معاهد العلم الأجنبية. فيما بعد. ولم تكن تلاوة القرآن الكريم تلاوة سطحية عابرة، بل كان يتجه إليه بقلبه وروحه، ويحس له في نفسه وقعاً عجيباً، وأثراً بعيداً، فيهزه اعجازه هزاً، وتفعل فيه بلاغته فعل السحر، ويستولي عليه خشوع عميق، يصرفه عن كل ما يحيط به.

انتهى ابراهيم من تحصيله في مدرسة المطران سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ وانتقل الى الجامعة الاميركية في بيروت. وهنا تبدأ أخصب مراحل حياته الدراسية، أو اكثرها ألواناً.

فها هو في بيروت، يظله أفق أدبي واسع لا عهد له بمثله في فلسطين. هنالك الأدباء والشعراء، وهنالك الدنيا براقة خلوب... وهنالك بعد ذلك، السهم الذي كان ينتظره، منجذباً عن وتره الى آخر منزع؛ يتربص به الفرص، لينغذه في قلبه الذي لم يكن قد مسه الحب بعد..

في هذه الجامعة، يعرفه شقيقه أحمد بأحد أصدقائه من الطلاب، وهو (سعيد تقي الدين)؛ وسعيد، من أولئك الذين يتذوقون الشعر، ويميزون بين صحيحه وزائفة تمييزاً صائباً؛ فيلمح هذا في شعر ابراهيم بارقات وصوراً شعرية، تلوح من هنا، وتستتر من هناك. وتساند أحمد وصديقه سعيد، وبدءا يوجهان ابراهيم التوجيه الصحيح في عوالم الشعر ودنياواته الرحيبة الجميلة.

وفي عامه الدراسي الثاني في الجامعة، وكانت شاعريته قد بدأت تزخر

وتمتلىء ، لتنبثق عن معينها بعد ان أخذت عدتها من هذه الصناعة الدقيقة ، صناعة الشعر ، نظم ابراهيم قصيدته في الممرضات ، أو (ملائكة الرحمة) فكانت أول قصيدة لفتت إليه الأنظار في لبنان.

ففي هذا العام (١٩٢٤) مرض ابراهيم ، واضطره ذلك الى العودة الى نابلس ، قبل انتهاء الفصل الدراسي الأول. وفي أثناء مرضه نظم تلك القصيدة ، ونشرها في جريدة (المعرض) التي كانت تصدر يومئذ في بيروت فاذا العيون تتطلع إلي هذا الشاعر الناشىء ، الطالب في الجامعة ، وإذا بالصحف تتناقلها. نقلّها مجلة (سركيس) عن (المعرض) وعلقت عليها بقولها: « ولعله أول من نظم شعراً عربياً في هذا الموضوع ». وطلبت القصيدة من قبل مجلة (التمدن) في الأرجنتين ، واهديت إليه المجلة سنة كاملة ، وكان مما علقته عليها قولها: « ولو كان كل ما ينظمه شعراؤنا في هذا الباب من هذا النوع ، لكان الشعر العربي في درجة عالية من القوة والفتوة » ونقلتها جرائد ومجلات أخرى ، وكلها تطري الشاعر ، وتشجعه.

اما هذه القصيدة ، فهي وإن تكن قد قيلت في موضوع الممرضات ، غير ان قسماً كبيراً منها ، كان في وصف الحمام؛ تلك الطيور الوديعة ، التي كان يغرم بها ابراهيم ، ويعنى باقتنائها وتربيتها ، أيام صباه. وتحدثني أمي ، كيف كان وهو طفل ينجذب إلى هذا الطائر انجذاباً خاصاً ، ويتأمله محوماً رائحاً غادياً؛ وكيف كان ابراهيم إذا وقف كل صباح ليغتسل على حوض الماء الذي يقوم في صحن الدار ، أطال هناك الوقوف ، مستغرقاً في تأمله لأسراب الحمام ، وقد حفت بالماء تغتسل وتعبث بريشها ، فلا يزال على وقفته تلك ، الى ان ينبهه والده الى ابطائه على المدرسة.

وهكذا يمضي ابراهيم في طريق النظم ، وكانت نشوة توفيقه في قصيدة (ملائكة الرحمة) ، قد أفعمته بالزهو والخيلاء كما يقول ، الى ان تلقاه درساً أليماً ، أوحي إليه يومئذ بقصيدة عنوانها « عارضي نوحي بسجع »

وفيها تنعكس حالته النفسية الثائرة، التي ترجع بأسبابها الى الدرس الأليم الذي تلقاه.

يقول ابراهيم بهذا الصدد: «كنت قد توفقت في قصيدة ملائكة الرحمة، وسمعت كثيراً من كلمات الاعجاب بها؛ فخيل إلي ان كل قصائدي في المستقبل، ستكون مثلها مدعاة للاعجاب!؟ وأخذت في نظم قصيدة غزلية، وأنا مفعم بزهوي وخيلائي؛ وأخذت اغوص على المعاني، واتفنن بالألفاظ!!. وكان يشرف على نشأتي الأدبية اثنان من الزبانية هما أخي أحمد، وسعيد تقي الدين، فهرعت إليهما لأسمع اعجابهما وانتشي به، وتلوت عليهما القصيدة، وظفرت بالاعجاب!.. وتركاني، وعادا إلي بعد قليل. قال أحمد: «أخي أنا لا أفهم القصيدة جيداً حين تتلى علي؛ اريد ان اقرأها بنفسي». فناولته القصيدة، ودنا رأس سعيد من رأس أحمد، وشرعا في قراءة صامتة، ثم كانت نظرات تبادلاها، أحسست منها بمؤامرة... وإذا بالقصيدة تمزق، وإذا بها تنسف في الهواء. قال أحمد: هذه قصيدة سخيفة المعنى، ركيكة المبنى؛ قال سعيد: ليس من الضروري ان تنظم كل يوم قصيدة! قال أحمد: كلها تكلف وحذلقة!. قال سعيد ليهون أثر الصدمة: لا بأس بها، لكنها لا شيء بالنسبة الى قصيدة ملائكة الرحمة، اعمل كل سنة قصيدة مثل ملائكة الرحمة، وكفاك.... قال أحمد... وقال سعيد... ولكن كان رأسي بين أقوالها كأنه في دوار، ولم اتمالك عن البكاء، وتركتهما حانقاً ناقماً. وبعد ساعة كان سعيد فوق رأسي - وأنا لا أدري - يتلو أثر تلك الصدمة في قصيدتي: «عارضي نوحي بسجع». فأختطفها، وعاد إلي بها في الصباح، وعليها الجملة الآتية بقلم عمه الشيخ أمين تقي الدين: «روح شاعرة، ليتها في غير معاني اليأس، فالشباب واليأس لا يلتقيان، أما النظم، فيبشر بمستقبل فيه مجيد».

«قسوة وعنف، أفاداني أن أكون مع نفسي بعدئذ قاسياً عنيفاً، امزق

القصيدة حين أشعر بالتكلف يدب فيها، وأن أقف موقف الناقد الهدام، أحطم شعري بيدي، أو أبديه وأنا راض عنه، ضامن رضى قارئه أو سامعه. أحمد وسعيد ليسا من الزبانية؛ إنهما ملكان كريمان!. جزاهما الله عني خيراً ».

ونعود الى ما بدأنا به من الحديث عن أيام ابراهيم في بيروت فنقول: مضت عليه سنوات ثلاث في الجامعة، بلغ في نهايتها الثانية والعشرين، وقد قعد به المرض خلالها عن اتمام دراسته في الصف الأول العلمي، فانتقل الى نابلس، ثم عاد في العام الذي تلا ذلك الى الجامعة. وكان في هذه السنوات الثلاث لا ينقطع عن قول الشعر. وفي سنة ١٩٢٥ نشرت له جريدة (الشورى) في مصر نشيداً وطنياً لتحية المجاهد الأمير عبد الكريم الريفي. فلما أطلع الشاعر الاستاذ خير الدين الزركلي على النشيد قال: « ان صدق ظني، فان صاحب هذا النشيد سيكون شاعر فلسطين ».

ومن عجب، ان يظل قلب ابراهيم خالياً من المرأة حتى ذلك الحين، ولقد كان اصدقاؤه في الجامعة يعجبون لذلك ويقولون له على سبيل المزاح: « أنت شاعر ولكن بلا شعور، أين وحي المرأة في شعرك؟ ».

في نهاية تلك السنوات الثلاث، بلغ ابراهيم الثانية والعشرين كما ذكرنا من قبل. وهنا مس الحب قلبه.. ولكن هل كان مس ذلك الحب رفيقاً رحيماً؟ كلا؛ بل كان مساً عنيفاً ملهباً اشعل بروحه وأيقظ حسه، وأرهف نفسه.

ففي سنة ١٩٢٦، طلعت في الجامعة في بيروت، فتنة تمثلت في صورة فتاة فلسطينية طالبة هناك، فأحيت قلوباً وسحقت قلوباً... وتورط إبراهيم، ودخل المعركة، وابتلى حسنات وسيئات، أما السيئات، فليس هذا بموضع تدوينها، وأما الحسنات، فتنحصر في الطريق الأدبي الجديد الذي نهجه، والاستعداد الكبير للسير في هذا الطريق.

صار قوي الملاحظة، حاضر العاطفة، متوفز الأعصاب، صار كثير المطالعة، صياداً للمعاني، بسيط العبارات، سهل الفهم، مصيباً.

تلك هي حسنات ذلك الحب، على حد تعبيره.

ونظم في فتاته قصيدته (في المكتبة)، ونشرت القصيدة في احدى الصحف في بيروت، فنطقت بألسنة الكثيرين من الطلاب والاساتذة أيضاً...

ومنذ ذلك الحين، أخذ ابراهيم يضرب على قيثار الغزل، فيطرب سماعه، ويعجب قراءه. وقد أحبته فتاته بمقدار ما أحبها، ثم ضرب الدهر بينهما، فكانت نهاية حبه مأساة، خلفت في القلب الشاعر جرحاً، كان يندمل حيناً، وتنكأه الذكرى حيناً آخر، فينعكس ذلك كله في شعره، كما تنعكس صورة على صفحة المرآة المصقولة.

نكتفي بهذا القدر من قصة ذلك الحب، الذي كان له أكبر الأثر في ارهاف حسه، والسمو بشاعريته الى سماء الشعر الصادق، الذي ينبثق من ذات النفس، وينبعث من أعماق الروح.

ونلتفت الآن الى بعض الأجواء الأخرى، التي كانت تحيط بابراهيم في أعوامه التي قضاها طالباً في الجامعة.

لقد احتضنت ابراهيم في الجامعة وخارجها، بيئة شعرية أدبية لم تكن لتحتضنه لو لم يكن في بيروت. أما في الجامعة، فقد كان هناك رعيل من اقرانه الطلاب، امتاز بصبغته الشعرية، وتعاطيه لقول الشعر الجزل. من ذلك الرعيل كان عمر فروخ (صريع الغواني) وحافظ جميل (ابو النواس) ووجيه بارودي (ديك الجن) وابراهيم (العباس بن الأحنف). وكان تجاوب الذوق والمشرب قد وصل بين هؤلاء بأسباب المحبة والأخوة. وكانت تجري بين حافظ ووجيه وابراهيم، مساجلات شعرية عديدة، تناقلها الطلاب

وأحبوها، غير ان هذه المساجلات لم تكن لتخرج عماّ توحي به طبيعة الشباب الملتهب، المندفع وراء الحياة...

هذا في الجامعة، وأما خارجها، فقد كانت هنالك مجالس الأدب العالي والشعر الرفيع، وكلها تفتح لابراهيم صدرها، وتوليه من عنايتها واهتمامها، وتعقد بينه وبين أصحابها صلة الود. وحسبي أن أذكر من أصحاب تلك المجالس الأدبية الرفيعة المرحوم الشيخ أمين تقي الدين والمرحوم الاستاذ جبر ضومط، والشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير).

أصبح ابراهيم شاعر الجامعة، كما لقبته صحف بيروت. ولم يقتصر في ذلك العهد على الشعر الغزلي فحسب، بل كانت أغاريده الوطنية الفياضة بالعواطف الصادقة، والايمان الوطني القوي، تسير جنباً إلى جنب مع أغاريده الغزلية. وهذان الوتران كانا من الأوتار التي امتاز ابراهيم بالضرب عليها.

وفي سنة ١٩٢٩، نال شهادته من الجامعة، ليخوض بحر الحياة العملية المزبد المتلاطم.

معلم، معلم، معلم، هذه هي الكلمة التي كان يسمعها تتردد على شفاه الكثيرين من الطلاب الخريجين، يوم توزيع الشهادات؛ فيقول لنفسه: «أبعد هذا العناء والكد، يختار هؤلاء التعليم مهنة؟. ألا ساء ما يفعلون؛ ما أقصر مدى طموحهم».

أما هو، فقد كانت المفاوضات جارية بينه وبين احدى دور الصحافة في مصر، وتوشك ان تنتهي على أحسن ما يتمناه. فهذه مهنة تلائم ذوقه على الأقل، وتسير مع اختصاصه. سيكون محرراً في مجلة كبرى في القاهرة؛ وناهيك بالقاهرة من مدينة فن وأدب وجمال. وأي شيء تصبو إليه نفس الأديب الناشىء الطموح، ولا يجده في القاهرة؟ المكتبة الكبرى، الأزهر، الصحف، الشعراء، الكتاب؛ «يا مصر، لله مصر!.» صحافي، صحافي...

هذا ما كان ابراهيم يحدث به نفسه في أيامه الأخيرة في الجامعة.

من المنصة التي منح عليها (البكالوريا)، مشى ابراهيم الى سرير المستشفى؛ وأراني حتى الآن، لم أشر الى انه كان يشكو ألماً في معدته منذ أيام التلمذة في مدرسة المطران في القدس؛ وكثيراً ما أقعده ذلك عن مواصلة التحصيل، الى ان يشفى فيعود إليها؛ وكثيراً ما حمله بعد ذلك، على الاستقالة من وظائفه التي تقلب فيها.

أبلّ ابراهيم من مرضه، وكان والده الى جانبه في هذه الآونة، إذ قدم بيروت ليشهد حفلة الجامعة. ثم توجه الاثنان الى مصر ليستشيرا الأطباء هناك، وليبحث ابراهيم في شغله الصحافي.

وفي مصر ينفذ البرنامج، وتتجه صحة ابراهيم اتجاهاً حسناً؛ وبعد بضعة اسابيع يعود الوالد بولده الى نابلس، قرير العين، ناعم البال، على أن يعود ابراهيم للشغل في مصر بعد ان يمضي مع ذويه أياماً قليلة.

غير ان الام تأبى عليه ذلك، وتحكم ان يظل ولدها قريباً منها، وتدخل العاطفة في الموضوع.. زد على ذلك أن أباه لم يكن راغباً في شغله في مصر.

وكانت هنالك ظروف اخرى، شاءت ان يلغي ابراهيم برنامجه الصحافي ويضرب بهذا الأمل المنشود عرض الحائط، ولو لمدة سنة.

وفي هذه الآونة، كانت وظيفة معلم اللغة العربية في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس شاغرة. فيأتي الى ابراهيم والده، يقنعه بالموافقة على التدريس هناك؛ فهذه خدمة وطنية مشكورة، اضف الى ذلك ان المسؤولين في المدرسة، سيجعلون ساعات العمل بحيث لا يرهقونه، ثم ان هذا العمل في بلده، وانه لون من ألوان الاختبار يقطع فيه ابراهيم جزءاً من أوقات الفراغ الطويلة المملة.

ويكون رد ابراهيم على أبيه بأنه لا يستطيع ان يتصور نفسه معلماً، فهذا

عمل لم يخلق له، وسيكون فيه خائباً لا محالة. ولكن أباه يبين له انه سيعلم في موضوعه، فلا يخرج عن نطاق ما خلق له.

وإذا بابراهيم ذات صباح أمام فريق من الطلاب، على مقاعدهم الخشبية، وإذا به يكتب على اللوح: «الطقس جميل»، ثم يقول لأحد التلاميذ: ادخل (كان الناقصة) على هذه الجملة، فيقول التلميذ: «كان الطقس جميلاً».

نعم... كان الطقس جميلا، فتعكر، وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن...

زاول ابراهيم مهنة التعليم في هذه المدرسة سنة واحدة، وكان له تأثير في بعض طلابه من الصفوف العالية؛ فحبب إليهم الشعر والأدب. ولا أزال أذكر ذلك اليوم الذي اقبل فيه يحدثنا مبتهجاً، بأن بعض تلاميذه النجب، قد بدأوا ينظمون الشعر على يده.

خلال هذا العام الدراسي (١٩٢٩ - ١٩٣٠) كان ابراهيم ينظم الشعر الوطني، فيرسله صرخات حافزة، وناراً مشتعلة. ومن أشهر قصائده في ذلك الحين (الثلاثاء الحمراء).

ففي حزيران سنة ١٩٣٠ صدر حكم الاعدام على شهداء فلسطين الثلاثة، وذلك على أثر ثورة سنة ١٩٢٩. وقد ضج اهل البلاد لهذا الحكم، وقدموا احتجاجاتهم ورجاءهم، فلم يغن ذلك عنهم شيئاً.

وفي نهار الثلاثاء، السابع عشر من حزيران سنة ١٩٣٠، كان التكبير على المآذن، وقرع النواقيس في الكنائس، يتجاوب صداها في أرجاء فلسطين قاطبة؛ إذ في ذلك النهار، نفذ حكم الاعدام بالشهداء الثلاثة، في ثلاث ساعات متوالية. فكان اولهم فؤاد حجازي وثانيهم محمد جمجوم، وثالثهم عطا الزير. وكان من المقرر رسمياً ان يكون الشهيد (عطا الزير) ثانيهم، ولكن (جمجوماً) حطم قيده، وزاحم رفيقه على الدور حتى فاز ببغيته..

وهنا يأخذ الشاعر ريشته ليصور هذا اليوم المخضب بالدماء أروع تصوير، وليسجل في سفر الشعر الوطني الخالد، مصارع أولئك الشهداء. فتكون قصيدة (الثلاثاء الحمراء).

وكان يوم حفلة مدرسة النجاح السنوية في نابلس، ولم يكن قد مضى على تنفيذ حكم الاعدام بهؤلاء الشهداء أكثر من عشرة أيام، فالنفوس لا تزال ثائرة، والعواطف لا تزال مضطربة؛ وفي تلك الحفلة، ألقى ابراهيم قصيدته (الثلاثاء الحمراء).. وذهل عن الجمهور؛ وشعر كأنما خرج من لحمه ودمه، فكان يلقي بروحه وأعصابه، فما انتهى حتى كان بكاء الناس يعلو نشيجه، ثم تدفقوا خارج القاعة في حالة هياج عظيم حتى لقد قال بعضهم يومئذ: «لو ان ابراهيم ألقى قصيدته في بلد فيه يهود، لوقع ما لا يحمد عقباه». يشير بذلك الى فرط الحماس الذي أثارته هذه القصيدة في أولئك السامعين.

لم تكد تبدأ عطلة العام الدراسي الأخيرة لسنة ١٩٣٠ حتى كانت الجامعة الاميركية في بيروت، قد عرضت على ابراهيم، بواسطة الاستاذ انيس الخوري المقدسي، التعليم في قسم الأدب العربي في الجامعة.

كان مجرد فكرة العودة الى بيروت، وآفاقها الرحيبة السحرية، كفيلا بأن يجعل ابراهيم يوافق على مزاولة التعليم مرة أخرى، وعن طيب خاطر.. فلقد كان حبه لهذا البلد، ولأهله الكرام، حباً متمكناً من نفسه، الى حد بعيد، بل لقد كانت بيروت عنده بمنزلة الوطن الثاني له، يرى في أهلها أهله، وفي عشيرتها عشيرته، وكيف لا يكون لهذا البلد في نفس ابراهيم مثل هذا المكان الرفيع، وفيه تفتحت زهرة شبابه أول ما تفتحت:

أول عهـــــدي بفنون الهوى   بـــيروت؛ أنعم بالهوى الأول..

وانتقل الى الجامعة الأميركية، فدرّس فيها عامين، نظم خلالها أروع قصائده التصويرية، مما يدخل في باب الموضوعات من شعره. ولابراهيم في هذا الباب قصائد فذة، تفيض بالصور الحية الناطقة.

ولقد عادت المرأة، أو بالأحرى، عاد الجمال يحرّك قلب ابراهيم في بيروت، فيوحي إليه بأرق الشعر وأجزله. ومسارح الجمال في بيروت مختلفة الألوان، متعددة الصور، وهي هناك تكاد تكون مكشوفة النقاب لا تختبىء وراء حجاب. وابراهيم نشأ في بلد متمسك بتقاليده وعاداته أشد التمسك، فهو يسدل دون المرأة ستاراً كثيفاً نسجه. ومن هنا، كانت بيروت مهبط وحيه في ما قاله من شعر في المرأة.

وفي غادة اشبيلية اندلسية، كانت في بيروت، نظم ابراهيم فيما نظم من شعر غزلي في ذلك الحين، عدة قصائد، وهو يعترف بأن انجذابه الى هذه الغادة، قد لا يكون بدافع جمالها، وخفة روحها، بمقدار ما كان يتقرّاه في خلقتها من الدم العربي، وما كان يلاحظه من الفن العربي في ثيابها ورقصاتها.

وأثناء اقامته في بيروت قدم الجامعة الأميركية الدكتور (لويس نيكل البوهيمي)، وهو مستشرق تخصص في الغزل العربي، فكان يتنقل بين عواصم الشرق والغرب، باحثاً في مكاتبها الكبرى عن الكتب المتعلقة بموضوعه، وكان من نتيجة ذلك ان ترجم الى اللغة الانكليزية كتاب (طوق الحمامة) لابن حزم الاندلسي. وقد تعرف ابراهيم بالدكتور نيكل عن طريق صديقه الاستاذ أنيس فريحة، وكان هذا المستشرق، حين تعرف بابراهيم، قد بدأ بتصحيح كتاب (الزهرة) لابن داود الاصفهاني، وتعليق حواشيه وتنظيم فهارسه. فلما رأى مدى اطلاع ابراهيم على الشعر القديم دعاه الى العمل معه واشراكه في تصحيح الكتاب وطبعه؛ وباشرا العمل معاً في اليوم الثاني للمقابلة الأولى. وفي بضعة شهور انجزا عملهما فيه حيث طبع الكتاب سنة ١٩٣٢ . ويقول الدكتور نيكل بهذا الشأن في رسالة خاصة تلقيتها منه: « ... ثم أقمنا حفلة (الزهروية) في مطعم نجار، ونظم ابراهيم قصيدة (غادة اشبيلية)، وكانت تلك الأيام من أسعد أيامه وأيامي... ».

وفي نهاية العام الثاني لتدريسه في الجامعة، قدّم ابراهيم استقالته من

العمل، وعاد الى فلسطين، حيث زاول مهنة التعليم في المدرسة الرشيدية في القدس. وفي هذا الحين، ضاق بعمله أشد الضيق، فنفّس عن الكرب الذي لحقه من هذه المهنة بقصيدته (الشاعر المعلم) وقد صاغها في قالب فكاهي عذب، صور فيه ما كان يكابده من مشقة التعليم، والجهد الذي كان يبذله، والعناء الذي كان يلاقيه من جراء ذلك كله.

وفي أواخر سنة ١٩٣٢، وقبل انتهاء الفصل الدراسي الأول، ألح عليه السقم، ولازمته العلة، فانقطع عن التدريس، وظل طريح الفراش، الى ان اشتدت وطأة المرض، فأشار الأطباء بضرورة نقله الى المستشفى، وإجراء عملية جراحية في معدته. ولقد كان من خطورة شأن هذه العملية، ان نفض الجراح يديه من نجاة مريضة من الموت بعدها، لما كان عليه ابراهيم من النحول والضعف. ولكن (الله في السماء، والأمل في الأرض!) فقد اجريت العملية بالرغم من الشك الكبير في نجاته من خطرها. وتشاء حكمة الله، ان ينجو ابراهيم من الموت المحقق؛ ولقد أقر الطبيب يومئذ، بأن سلامة مريضه كانت من معجزات الله، لا شأن لفن الطب فيها، ولا لحذق الطبيب، إذ كانت حال ابراهيم فوق هذين كليهما.

وتماثل للشفاء، وحانت الساعة التي سيغادر فيها المستشفى، فشيع الطبيب هذا (المولود الجديد)، كما كان يسميه، مهنئاً والديه به. وخرج ابراهيم وفي جيبه ورقة عليها هذه الأبيات:

إليك توجهت يا خالقي ... بشكر على نعمة العافية
إذا هي ولت فمن قادر ... سواك على ردها ثانية
وما للطبيب يد بالشفاء ... ولكنها يدك الشافية
تباركت، أنت معيد الحياة ... متى شئت في الأعظم البالية
وأنت المفرج كرب الضعيف ... وأنت المجير من العادية

بلى؛ لقد كان ابراهيم يؤمن بالله ايماناً عميقاً صادقاً؛ وقد ابتلاه ربه

بالحرمان من نعمة العافية، وهو في ريعان الشباب، فما وجده إلا صابراً متفائلاً. وانك لتتصفح ما خلفه من مآثره الأدبية، فتراه قد عرض فيها مراراً عديدة لذكر مرضه وسقمه، ولكنه عرض مرح مبتسم، لا روح للتشاؤم فيه ولا أثر لشكوى الزمان، إذ كان المرح والابتسام خلقه في ابراهيم، فلم يكن لينظر الى الدنيا إلا من وجهها الضاحك المشرق؛ وانظر الى هذه الأبيات لترى كيف كان يواجه تنكر العافية:

وطبيب رأى صحيفة وجهي ... شاحباً لونها، وعودي نحيفاً
قال: لا بد من دم لك نعطيـ ... ـه نقياً، ملء العروق عنيفاً
لك ما شئت يا طبيب ولكن ... أعطني من دم يكون خفيفاً..

ضعف في البنية شديد، قد يبعث في غير ابراهيم التشاؤم والضجر، ولكنه هو، القوي بروحه، المرح بطبيعته لا يدع النكتة تفلت منه وهو في أشد حالات المرض: «أعطني من دم يكون خفيفاً»..

غادر ابراهيم المستشفى موفور الصحة، وعاد الى بلده بعد أن قدم استقالته الى المدرسة الرشيدية في القدس، وقد عزم عزماً أكيداً على عدم العودة الى هذه المهنة، مهنة التعليم، مرة أخرى.

أمضى بعد ذلك عامين في نابلس، خدم خلالها مدة في دائرة البلدية، وفي هذين العامين، نظم ابراهيم مقطعاته الوطنية التي كان يوالي نشرها في جريدة (الدفاع) والتي كان يقبل عليها القراء بشغف عظيم، لما فيها من تصوير صادق لوضع فلسطين الخطير، وتفكك الامة المريع، في تلك الفترة من الزمن.

وفي سنة ١٩٣٦ استلم ابراهيم عمله الجديد في القسم العربي في اذاعة القدس. وقبل الحديث عن اعماله هناك، أوثر أن أقف عند شعره وقفة قصيرة.

إذا قرأت شعر ابراهيم، تجلت لك نفسه على حقيقتها، لا يحجبها عنك حجاب؛ ذلك انه كان ينظر نظراً دقيقاً في جوانب تلك النفس، ثم يصوّر ما يعتلج فيها من عواطف وخلجات، كأصدق ما يكون التصوير؛ ومما كان يعينه على البراعة والصدق في التعبير، علم غزير بفنون الكلام وأساليبه؛ وهذا العلم كان نتيجة لاطلاعه الواسع على المآثر الأدبية الرفيعة، من قديمة وحديثة، الى جانب القرآن الكريم، والحديث الشريف.

وما أعرف كتاباً أدبياً كان أحب إليه من كتاب (الأغاني)، فقد كان يرى فيه دنياً تغمرها الحياة على اختلاف ألوانها؛ وناهيك (بالأغاني) من كتاب أدبي توفرت فيه المادة، وتنوع الأسلوب، واتسع فيه مجال القول في الأخبار والنوادر الأدبية على اختلافها.

وكما كان كتاب (الأغاني) من أحب كتب الأدب العربي الى ابراهيم فقد كان (المتنبي) من ناحية، (والعباس بن الأحنف) من ناحية اخرى من أحب الشعراء إليه وأقربها من قلبه؛ وكان الدكتور نيكل قد ساعده في الحصول على نسختين تصويريتين لديوان (العباس) من استنبول إذ كان في نية ابراهيم - لو أمهله الزمن - ان يخرج هذا الديوان في طبعة جيدة أنيقة.

وأما «شوقي» في الشعراء المعاصرين فهو سيد المكان في قلب ابراهيم.

يمكنك أن تقسم شعر ابراهيم الى ثلاثة أقسام: الغزليات، والوطنيات والموضوعيات؛ وهذه الأخيرة تمتاز بعمق الفكرة، ودقة التصوير، وقد حلق فيها الى آفاق الشعر العالي؛ هنالك «الشهيد» و«الفدائي» و«الحبشي الذبيح» وغيرها. ولعل واسطة العقد في موضوعياته، قصيدة «مصرع بلبل» وهي فتح جديد في القصة الشعرية، نلمس فيها تأثر ابراهيم بالأدب الغربي دون ان يفقد مميزات خياله الخاص، وتعبيراته الشعرية الخاصة.

وفي قصيدة «الشهيد»، ينقلنا ابراهيم بدقة وصفه، وروعة تصويره الى ما يثور في نفس الشهيد من عواطف، واستقتال في سبيل الواجب الأسمى،

لا يبتغي من وراء ذلك ذيوع اسم ولا اكتساب صيت، وإنما هو عنصر الفداء، وجوهر الكرم، صيغت منها نفس الشهيد، فهان عندها الموت في سبيل الله والوطن.

ومن موضوعياته الرائعة قصيدة «الحبشي الذبيح» وهي صورة حية ناطقة، يرسم فيها ابراهيم حالة ذلك «الديك الحبشي» الأليمة حين يذبح ويأخذ يصفق بجناحيه، ويجري من هنا وهناك، مزورّ الخطى، كأنما هو يلحق بالحياة التي استلبت منه. ولقد أوحى إليه بهذا الموضوع العنيف، وقوفه يوماً برجل على جانب الطريق في بيروت يذبح ديوكاً جبشية يعدها لرأس السنة. وإذا بالنفس الشاعرة يروعها ان لا يقوم السرور إلا على حساب الألم، وإذا بها تفيض بأقوى الشعر التصويري الحي.

ونلتفت الآن إلى ابراهيم شاعر الوطن، الذي سجل آلام فلسطين وآمالها خلال الانتداب الانكليزي، كما لم يسجله شاعر فلسطيني من قبل.

انظر إليه وقد خلد ثورة فلسطين وشهداءها سنة ١٩٢٩ في قصيدة «الثلاثاء الحمراء»، ثم يوم عاد في الذكرى الرابعة لهؤلاء الشهداء فخلدهم مرة اخرى في قصيدة «الشهيد» كل ذلك في شعر لاهب حماسي، فلا بكاء ولا استخذاء، وإنما هي صرخات مدوية مجلجلة، تحفز الهمم، وتثير الشعور بالعزة والآباء.

وأما بيع الأرض، فلم يزل ابراهيم يصور لقومه الخطر الذي ينتظر البلاد من وراء البيع، ولم يزل يفتح عيونهم على الشر الذي عم واستحكم من جراء ذلك:

اعداؤنا منذ ان كانوا صيارفة ... ونحن منذ هبطنا الأرض زراع
يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة ... ولا تعلمت ان الخصم خداع..
لقد جنيت على الأحفاد والهفي! ... وهم عبيد.. وخدام.. واتباع..

وغرك الذهـــب اللماع تحرزه..   ان السراب كما تدريــه لمـــاع
فكر بموتـك في أرض نشأت بها   واترك لقبرك أرضاً طولها باع

وقد التفت ابراهيم مرات عديدة في شعره، الى هذه الناحية. وحين نشرت الصحف ان زعيم الهند (غاندي) قد أنذر انكلتره بالصيام مدى الحياة، ما لم تغير خطتها السياسية في الهند، راح ابراهيم يغمز ويقارن بين زعيم هنا.. وزعيم هناك:

حبـــذا لو يصوم منـــا زعـــيم   مثـل (غندي) عسى يفيد صيامه
لا يصم عن طعامـه.... في فلسطـ   ـين يموت الزعـيم لولا طعامـه..
ليصم عن مبيعـه الأرض يحفـظ   بقعــة تستريــح فيهــا عظامـه!.

وهو في رثائه للمغفور له الملك فيصل، يضرب على هذا الوتر نفسه، مشيراً الى استقبال الجثمان الطاهر في فلسطين:

مـا الذي أعددت من طيب القرى   يـــا فلسطــين لضيــف معجــل
لا أرى أرضـــاً نلاقيــه بهـا...   قـد أضـاع الأرض بيـع السفـل
فاستري وجهـك لا يلمـح عـلى   صفحتيــه الخزي فوق الخجـل!.

ولم يكن ليدع مناسبة تمر، دون ان يشير الى هذا الداء العضال، الذي بليت به فلسطين. ولشد ما صب نقمته على تلك العصبة الحقيرة، عصبة السماسرة، التي يقوم على يديها ضياع البلاد:

أمـــا سماسرة البـــلاد فعصبـــة   عـار عـلى أهـل البـلاد بقاؤهـا
إبليس أعلن صاغراً إفلاسه   لمـــا تحقــق عنـــده اغراؤهـــا
يتنعمون مكرمـــــين... كأنمـــا   لنعيمهم عم البـــــلاد شقاؤهـــا
هم أهـل نجدتها.. وإن انكرتهم   وهم - وأنفك راغم - زعماؤها..

ولكم كانت تروعه تلك الحزبية التي يضطرم وقودها في البلاد، فلا ينتج منها إلا تفكك الأمة وشقاقها، وفي ذلك ما فيه من إعاقة السير نحو الهدف الواحد:

وطني، أخاف عليك قوماً أصبحوا يتساءلون: من الزعيم الأليق
لا تفتحوا باب الشقاق فانه باب على سود الحوادث مغلق
والله لا يرجى الخلاص وأمركم فوضى، وشمل العاملين ممزق

ولطالما نقد أصحاب الأحزاب في شعره وندد بهم، لا يخص فريقاً دون فريق، وإنما يوجه القول إليهم جميعاً:

مالكم بعضكم يمزق بعضاً أفرغتم من العدو اللدود؟
اذهبوا في البلاد طولا وعرضاً وانظروا ما لخصمكم من جهود..
والمسوا باليدين صرحاً منيعاً.. شاد أركانه بعزم وطيد!
كل هذا استفاده بين فوضى وشقاق؛ وذلة؛ وهجود..
واشتغال بالترهات، وحب الذات.. عن نافع عميم مجيد
شهد الله ان تلك حياة فضلت فوقها حياة العبيد

وما كان انكأ لقلب ابراهيم من خمود العزائم في حاملي عبء القضية الوطنية ووقوفهم عند تقديم (البيانات) و(الاحتجاجات)، لا يتعدونها الى غيرها من الاعمال الجدية؛ انظر إليه يخاطبهم متهكماً:

انتم (المخلصون) للوطنية.. انتم الحاملون عبء القضية..
انتم العاملون من غير قول.. بارك الله في الزنود القوية..
و(بيان) منكم يعادل جيشاً بمعدات زحفه الحربية..
و(اجتماع) منكم يرد علينا غابر المجد من فتوح اميه..
ما جحدنا (افضالكم).. غير أنا لم تزل في نفوسنا أمنيه
في يدينا بقية من بلاد.. فاستريحوا كي لا تطير البقية..

وبذلاقة ورشاقة، كان ابراهيم يتغلغل بقلمه الى صميم الأشياء فيزيح عنها الستر ويبين ما خفي وراءه من حقائق مرة؛ ويا لها من مرارة يرسلها في شعره متألماً (لمظاهر العبث) التي كان يراها تغلب على ميول الامة:

أمامـــك أيهـــا العربي يوم تشيـــب لهولـــه سود النواصي
وأنـت كما عهدتـك.. لا تبـالي بغـير مظاهر العبـث الرخـاص
مصـيرك بـات يلمسه الأدانـى وسار حديثـــه بـــين الأقاصي
فـلا رحـب القصور غـداً ببـاق لساكنهـا، ولا ضيـق الخصـاص
لنـــا خصمان، ذو حول وطول وآخر ذو احتيـال واقتنـاص..
تواصوا بينهم.. فأتـــى وبـــالا وإذلالا لنـــا ذاك التواصي
مناهـــج للابـــادة.. واضحـات وبالحسنـى تنفـذ، والرصـاص..

وأما وعد بلفور؛ وأما هجرة اليهود الى هذا الوطن المنكود، فلم يبرحا مجالاً للقول ذا سعة في شعر ابراهيم، وهدفاً يرمي إليه، ويحوم حواليه.

وهكذا، ترى شعره الوطني شعراً يحمل طابعاً فلسطينياً خاصاً، كان حتماً ان تطبعه به أحوال البلاد المضطربة في هذا العهد المظلم من عهود فلسطين. وما كان ابراهيم ليفوز بلقب شاعر الوطن، وشاعر فلسطين لو لم يسجل قضية بلاده في شعره القوي، الذي يمتاز بذلك الطابع الفلسطيني الخاص.. ولو لم تنعكس في ذلك الشعر أصدق صورة لهذا الوطن في هذا العهد..

تأسست اذاعة القدس سنة ١٩٣٦، ووقع الاختيار على ابراهيم ليكون مراقباً للقسم العربي فيها؛ فاحتضن هذا القسم، ولفه تحت جناحيه، وتعهده بعنايته مدة أربع سنوات.

وفي سنة ١٩٣٧ تعرف ابراهيم (بسامية عبد الهادي) من احدى أسر نابلس، فاتجه إليها قلبه، وهناك استقر؛ فأصبحت شريكة حياته. وعاش هانئاً في بيته، سعيداً بعاطفة جديدة مقدسة هي عاطفة الأبوة، إذ ولد له «جعفر» ثم ولدت «عريب».

أقبل ابراهيم على عمله في الاذاعة بكل قلبه، إذ كان مثل هذا العمل يوافق ذوقه ويمشي مع ميوله؛ ولم تمض مدة يسيرة على اشرافه على البرامج العربية، حتى كانت تلك البرامج مرآة ينعكس عليها ذوق هذه البلاد،

وآراء اهلها العرب؛ وكان أكبر همه ان تكون الأحاديث قريبة من مستوى العقول على اختلاف طبقاتها؛ لا سيما الأحاديث الاخلاقية، فكان يصل إلى هذا الغرض التهذيبي بطريقة لا يشك في نجاحها، وهي طرق هذه الموضوعات من نواح ثلاث: الآية القرآنية، الحديث الشريف، المثل المشهور. ولكل من هذه النواحي أثرها البعيد في العقليات المختلفة لأهل المدن والقرى على السواء، لما لها من علاقة ماسة بالحياة الاجتماعية.

ولقد كان لابراهيم في الإذاعة أحاديث أدبية كثيرة، أضف الى ذلك قصصاً وروايات تمثيلية، كان يصنعها بنفسه، وأناشيد، منها ما كان ينظمه لبعض البرامج الخاصة، كنشيد «أشواق الحجاز» والنشيد الذي وضعه في رثاء المغفور له الملك غازي؛ ومنها ما كان ينظمه لأحاديث الأطفال.

لم تكن الوظيفة لتقعد بابراهيم عن تقديم رسالته الى هذا الوطن الذي تفانى في حبه، وجمع له هم قلبه؛ ولئن كانت قد اعترضت لهاة بلبل الوطن الغريد، وحالت دون تسلسل أغانيه الوطنية الشجية، التي طالما أيقظت القلوب النائمة، وألهبت النفوس الهامدة، فلم تكن لتستطيع ان تحول دون حبه لهذا الوطن، وبذله أقصى مجهوده لخدمة أمته عن طريق الاذاعة...

ولعل من أهم ما قام به هناك، تصديه لفئة غير عربية.. كانت تسعى سعيها لتنشيط اللغة العامية، وجعلها اللغة الغالبة على الأحاديث العربية المذاعة.. وكانت حجتها في ذلك، ان الاذاعة لا يمكنها ان تحقق الغرض الذي هدفت إليه، وهو نفع الطبقة المتوسطة، إذا جرت على استعمال اللغة الفصحى.. لأن هذه الطبقة من أهل المدن والفلاحين، لا تحسن اللغة الفصحى، على حد تعبير.أصحاب القول بتنشيط اللغة العامية، ولا تفهم اللغة العربية (القديمة) التي جرى عليها المذياع!...

وقف ابراهيم وقفة حازمة أمام هذا الرأي؛ ونقضه يومئذ بحجج دامغة، اظهرهم فيها على ان المذياع لم يجر على اللغة العربية القديمة، وانه

ليس في بلاد العرب من يعرف هذه اللغة بالمعنى الذي قصده أصحاب القول باللغة العامية، غير أفراد متخصصين. وهي عندنا لغة الجاهلية التي قضى عليها القرآن باسلوبه الجديد المبتدع. وان عندنا اليوم لغة عربية صحيحة، يصطنعها المؤلفون ومحررو الجرائد، ويفهمها المتعلم والأمي على السواء.. وان الفلاحين، وجلّهم من الأميين، لتقرأ عليهم الجريدة، فيناقشون القارىء في افتتاحيتها. ولا يعقل ان يناقش المرء في شيء لم يفهمه. هذا وان العرب، مسلمين ومسيحيين، يدينون بالقومية؛ وهذا مشروع غايته القضاء على اللغة العربية، وهي عندنا كل ما بقي من ذلك التراث الطويل العريض الذي اجتمع لنا من الفتوحات والحضارات والعلوم والآداب والفنون.. فما من عاقل اليوم، يعرف قدر نفسه ويعتز بعربيته، يرضى عن العبث بهذا التراث الباقي، والقضاء عليه بيده..

بهذه الصراحة التي عرفت لابراهيم في كل موقف ذي خطر، هزمت تلك الفئة التي اعترفت على أثر ذلك، بأن ابراهيم يحتاج الى جلسات اخرى، لتزعزع أركان عقيدته في لغته... واستغفر الله، وحاشا لابراهيم...

ولشد ما لقي من صعوبات أثناء عمله، إذ كانت فلسطين خلال السنوات الأربع التي خدم فيها في الاذاعة، في ظرف دقيق جداً، ففي السنوات الثلاث الاولى، كانت الثورة في فلسطين قائمة على ساقها، وفي السنة الرابعة، كانت الحرب العالمية الأخيرة.

أما الصعوبات التي لقيها في عمله أثناء الثورة، فتنحصر في ذلك الشغب الذي كان يدور حوله من قبل بعض الجهات اليهودية، ووقوفها له بالمرصاد في كل ما يذيعه من أحاديث، أو ما يذيعه غيره من المحدثين العرب؛ فكانت تلك الجهات اليهودية تخرج كل ما يقال تخريجاً سياسياً، وتشكل من القصة ذات اللغة البسيطة، والوضع المحكم، شعوباً ودولاً، وحكومات وانتدابات.. ولم تكن لترى في الأحاديث الأخلاقية، إلا تحريضاً تحت قناع ديني.. وأما

الدعاية فقد كانت في رأيها مبثوثة في الموضوعات التاريخية!. زد على ذلك، قول تلك الجهات اليهودية بأن الأحاديث النبوية، والأمثال المشهورة التي تقدم في الاذاعة، فيها الخطر كل الخطر!. إذ يطلب فيها من الأمهات ان ينشئوا أطفالهم بعضلات قوية؛ ومنشأ الخطر على زعمها هو ان تلك التنشئة القوية، إنما يقصد من ورائها المقدرة في المستقبل على المقاومة...

وعن الطريق الأقصر، فالبرنامج العربي الذي كان يشرف عليه ابراهيم مسخر للتحريض.. كما كانت تقول الصحف اليهودية..

وهكذا كانت توضع في الميزان جل أحاديث القسم العربي في الاذاعة، فيناقش ابراهيم فيها، ويحاسب عليها، ولكنه كان يعرف كيف يقف امام ذلك كله...

وانتهت الثورة، وقامت الحرب العالمية الثانية، فكانت الرقابة على الصحف والنشر والاذاعة.

ومن قِبل بعض المشرفين عليها يومئذ، قامت الدعاية السيئة وقام التحريض ضد ابراهيم.

وكانت قصة (عقد اللؤلؤ) أو (جزاء الأمانة) التي اقتبسها ابراهيم من كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ، وقدمها في المذياع في احد برامج الأطفال. فأخذ الرقيب وعصبته تلك القصة، وخرجوها تخريجاً يكفل لهم استفزاز المستعمر.. فإذا بتلك القصة التي تشيد بالأمانة والوفاء تشهر سلاحاً في وجه ابراهيم أو بالأحرى في ظهره، من قِبل من لا يعرف قيمة لمعنى الأمانة المقدس.

تكاتفت جموع الشر على ابراهيم من هنا وهناك، فأقيل من عمله في أول اوكتوبر سنة ١٩٤٠.

وإذا كان بوسع أحد من الناس، ان يبيع ضميره، ويضرب بمبدأه

وعقيدته عرض الحائط، فيظل هانئاً بعمله، قرير العين، فما كان بوسع ابراهيم ان يفعل ذلك، وهو الأبي النفس، العيوف للاستخذاء والذل، وهو الذي كان يتحول عن الحظ السعيد يأتيه وفيه جرح لكبريائه وكرامته، أو خلاف لعقيدته، كما يتحول المؤمن الصادق عن وسوسة الشيطان.

اشمأزت نفس ابراهيم، وعافت البقاء بين قوم لا خلاق لهم.. فآثر الرحيل عن وطنه الذي تفانى في حبه، وأذاب روحه في مناجاته، وعزم على الرحيل الى العراق، بلد العروبة والعزة.

وفي مساء اليوم الذي اقيل فيه ابراهيم من عمله، خف صديقه أكرم بك الركابي الى السيد طالب مشتاق، قنصل العراق في القدس يومئذ، وأطلعه على ما جرى بابراهيم، وفي محادثة تلفونية من قبل السيد طالب، الصديق المحب، سجل اسم ابراهيم في وزارة المعارف في بغداد ليزاول مهنة التعليم في أحد معاهد العلم هناك؛ ولقد كان ذلك بسرعة، ودون أخذ ورد، إذ كان ابراهيم معروفاً لدى الأوساط الأدبية الرفيعة في العراق.

ولقد لاقى من والده معارضة شديدة بشأن ذلك الرحيل، والحاحاً عليه بالبقاء عنده في نابلس؛ ولكن ابراهيم، على بره بوالده براً يفوق الوصف، وعلى تعلقه العجيب بوالديه واخوته - ولقد كان هذا البر وهذا التعلق من خلائق ابراهيم الممتازة - سافر الى العراق وهو عازم عزماً أكيداً على عدم العودة الى فلسطين مدى الحياة!

ومن هؤلاء الذين يصدق فيهم قول يزيد بن المهلب: « هم أهل العراق، أهل السبق والسباق، ومكارم الأخلاق » وجد ابراهيم على أبواب بغداد من ينتظره من الأصحاب العراقيين؛ وفي بيت السيد محمد علي مصطفى، الاستاذ في دار المعلمين العليا، نزل ابراهيم وأهله معززين مكرمين، إذ لم يكن قد تهيأ بعد. وفي دار المعلمين الريفية في الرستمية، باشر عمله.

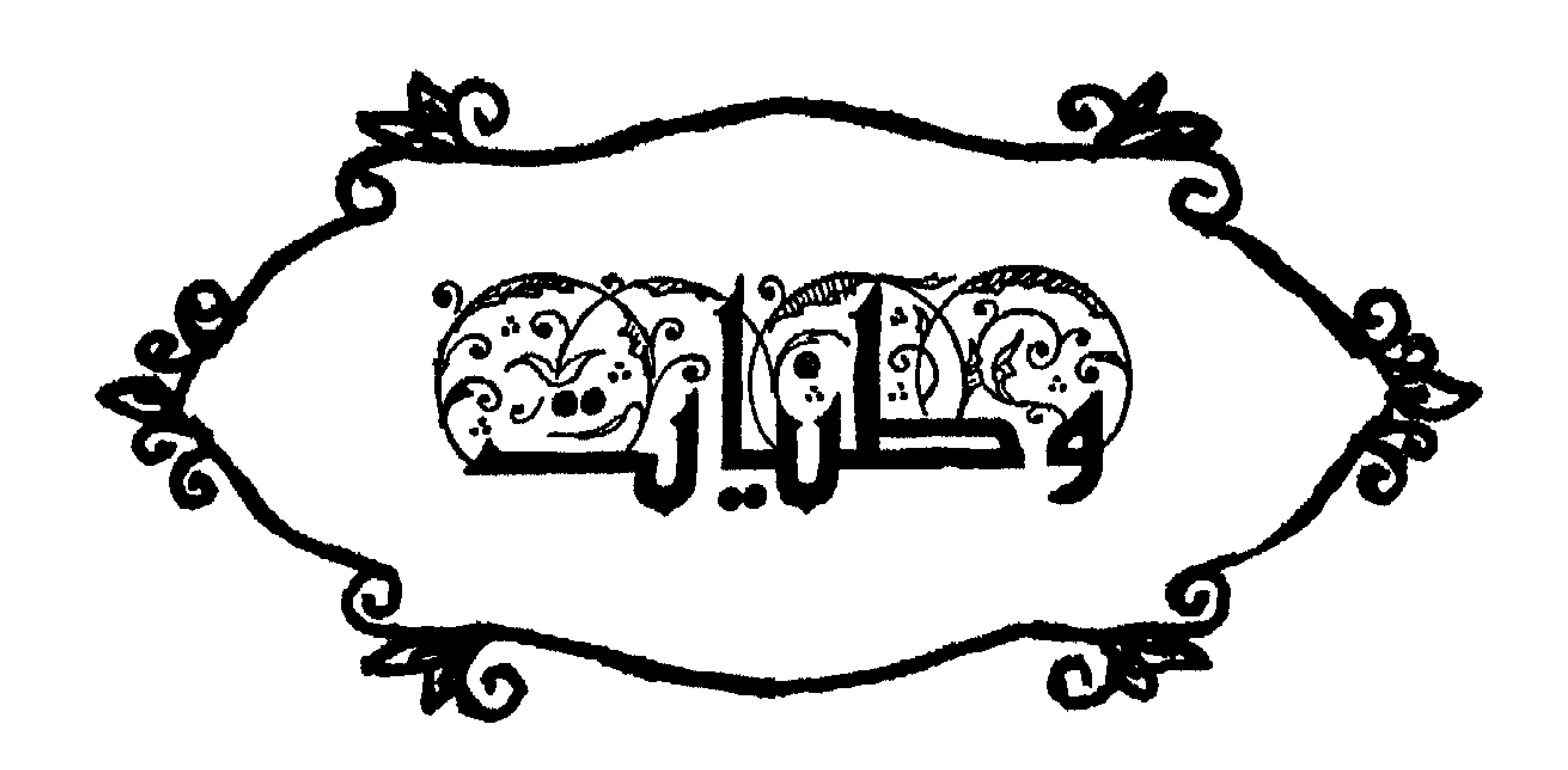
كان للمعاملة السيئة التي لقيها ابراهيم في وطنه وبين قومه تأثير كبير على

بنيته النحيلة؛ فلم تكن تلك البنية لتحتمل كل هذه الآلام النفسية التي كابدها ابراهيم خلال شهور، وهو الرقيق الشعور المرهف الاحساس الى حد يكاد يكون مرضاً. فلم يكد يمضي شهران على اقامته في العراق حتى وقع فريسة العلة والسقم، مما حمله الى العودة الى نابلس قبل انتهاء الفصل الدراسي الثاني.

ونهكت الاسقام ابراهيم، فنقل الى المستشفى الفرنسي في القدس، وبعد ايام قليلة، وفي مساء الجمعة، الثاني من شهر مايو سنة ١٩٤١ اسند ابراهيم رأسه الى صدر أمه، وقد نزف دمه، وخارت قواه، وهناك اسلم روحه الطاهرة الى بارئه، واستراح استراحة الأبد.

كان لابراهيم - رحمه الله - مصحف صغير، لا يخلو منه جيبه، تبركاً به من جهة، وليكون في متناول يده كل حين من جهة أخرى. فلما توفاه بارئه، كان ذلك المصحف تحت وسادته، ولا تزال الى اليوم ثنية ثناها في احدى صفحات سورة (التوبة). وكانت هذه الآيات الشريفة آخر ما تلاه ابراهيم من كتاب الله أثناء مرضه؛ ولقد آثرت ان اختم بها الحديث عن حياة ابراهيم إرضاء لروحه:

﴿الَّذين آمَنُوا وجَاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ بأمْوَالِهِمْ وأنفُسِهِم أعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ، وأُولَئِكَ هُمُ الفائِزون. يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ ورِضْوَان وجَنَّاتٍ لَهُمْ فيها نَعِيمٌ مُقِيم. خالِدينَ فِيها أبَداً إنَّ اللهَ عِنْدَهُ أجْرٌ عَظِيم﴾.


وطنيات

الشهيد

عبس الخطبُ فابتسمْ وطغى الهولُ فاقتحمْ
رابطَ الجأشِ والنُّهى ثابتَ القلبِ والقدمْ
لم يُبالِ الأذى ولم يَثْنِهِ طارىءُ الألمْ
نفسُه طَوْعُ هِمَّةٍ وَجَمَتْ دونَها الهممْ
تلتقي في مزاجِها بالأعاصير والحُممْ
تجمعُ المائجَ الخِضَمّ الى الراسخِ الأشمْ
وَهْيَ من عُنصر الفِداءِ ومن جوْهر الكرمْ
ومن الحقّ جذْوةٌ لفحُها حرّرَ الأممْ

سارَ في منهج العلى يطرُقُ الخلدَ منزلا
لا يبالي ، مكبَّلا نالَهُ أمْ مُجَدَّلا

فهو رهْنٌ بما عزمْ

ربما غـالَهُ الرَّدى وهـو بالسجنِ مُرتهنْ
لم يُشيَّعْ بدمعـةٍ من حبيبٍ ولا سَكَنْ
ربما أُدرج التراب َسليباً من الكفنْ
لستَ تدري بطاحُها غيَّبتْهُ أم القُننْ
لا تقلْ أين جسمُه واسمُه في فم الزمنْ
انه كوكبُ الهدى لاحَ في غيْهبِ المحنْ
أرسلَ النُّورَ في العيونِ ، فما تعرفُ الوسنْ
ورمى النارَ في القلوبِ ، فما تعرفُ الضَّغَنْ

أيُّ وجهٍ تهلّلا يَرِدُ الموتَ مُقْبلا
صعَّدَ الرُّوحَ مُرسلا لحنَهُ يُنْشِدُ الملا
أنا لله والوطنْ

الثلاثاء الحمراء

مقدّمـــة

لمّا تعرّضَ نجمُكَ المنحوسُ وترنّحت بعُرى الحبالِ رؤوسُ
ناح الأذانُ وأعولَ الناقوسُ فالليل أكدرُ ، والنّهارُ عبوسُ
طفِقَتْ تثورُ عواصفُ وعــواطفُ
والموتُ حيناً طائفُ أو خاطفُ
والمِعْولُ الأبديُّ يُمْعِنُ في الثرى لِيردَّهمْ في قلبِها المتحجّرِ

(*) حاول اليهود في صيف ١٩٢٩ الخروج على التقاليد الثابتة المتعلقة بصلاتهم في موقع (البراق) . فهاج العرب لأنهم فطنوا الى ما يضمر اليهود من وراء هــذه المحاولة من اعتداء على الأماكن الاسلامية المقدسة ونشبت في القـدس والخليل ويافا وصفد اضطرابات دامية بين اليهود والعرب قتــل فيها من اليهود عدد كبير في مدينتي الخليل وصفد . ثم ألقت السلطات البريطانيــة القبض على بعض الشبان واتهمتهم بقتل اليهود وحوكموا . وصدرت احكام الاعدام على الشهداء الثلاثة وهم فؤاد حجازي من صفد ، ومحمد جمجوم وعطــا الزير من الخليل . رحمهم الله جميعاً .

يومٌ أطلَّ على العصور الخالـيَهْ ودعا :«أمرَّ على الورى أمثالـيَهْ ؟»
فأجابَهُ يومٌ : « أجلْ أنا راويَهْ لمحاكمِ التَّفتيش ، تلكَ الباغِـيَهْ
ولقــد شهدتُ عجائبا وغرائبا
لـكنَّ فيــكَ مصائبا ونوائبا
لم ألـقَ أشباهاً لها في جوْرِها فاسألْ سوايَ وكم بها مِنْ منكَـرِ »

*

واذا بيــومٍ راسفٍ بقيودِهِ فأجابَ ،والتاريخُ بعضُ شهودِهِ :
« أنظرْ الى بيضِ الرَّقيقِ وسودِهِ مَنْ شاءَ كانوا مُلـكَهُ بنقودِهِ
بشرٌ يُبــاعُ ويُشترى فتحرَّرا
ومشى الزَّمانُ القهقرى فيما أرى . . .
فسمعتُ منْ منعَ الرَّقيقَ وبَيْـعَهُ نادى على الأحرارِ يا مَنْ يشتري! »

*

واذا بيومٍ حالكِ الجِـلْبابِ مُـترّنحٍ من نَشوةِ الأوْصابِ
فأجابَ :« كلاّ ، دون ما بكَ ما بي أنا في رُبى (عاليه) ضاع شبابي
وشهدتُ للسـفّــاحِ ما أبكى دما
ويــلٌ له ما أظلما لكنما . . .
لم ألـقَ مِثْـلَكَ طالعاً في روعةٍ فاذهبْ لعلَّكَ أنتَ يومُ المحشرِ »

*

(اليومُ) تُنكرهُ اللّيالي الغابرهْ وتظلُّ تَرْمقُه بعينٍ حائرهْ

عجباً لأحكامِ القضاءِ الجائرهْ فأخفُّها أمثالُ ظُلمٍ سائرهْ

وطنٌ يسيرُ إلى الفناءْ بلا رجاءْ

والداءُ ليس له دواءْ إلاّ الاباءْ

إنَّ الاباءَ مَناعةٌ، إن تَشْتَمِلْ نفسٌ عليه تَمُتْ ولمّا تُقهرِ

*

الكلُّ يرجو أن يُبكِّرَ عَفْوُهُ(١) تَدْعوله ألاّ يُكَدَّرَ صفوُهُ ..!

إنْ كان هذا عطفُهُ وحُنوُّهُ ... عاشتْ جلالَتُهُ وعاشَ سُموُّهُ..!

حَمَلَ البريدُ مُفصِّلا ما أُجملا

هلاَّ اكتفيتَ توسُّلا وتسوُّلا

والموتُ في أخذِ الكلامِ وردِّهِ فخذِ الحياةَ عنِ الطّريقِ الأقصرِ

*

ضاقَ البريدُ وما تغيّرَ حالُ والذُّلُّ بين سطورِنا أشكالُ

تُخسِرُنا الأرواحُ، والأموالُ وكرامةٌ ـ يا حسرتا ـ أسمالُ

أوَ تُبصرونَ وتسألونْ ماذا يكونْ !؟

إنَّ الخداعَ له فنونْ مِثْلَ الجنونْ

---

(١) الضمير يعود الى المندوب السامي البريطاني في فلسطين وقد ألحت الهيئات السياسية العربية عليه ليصدر العفو فلم يفعل ...

هيهاتَ، فالنفسُ الذليلةُ لو غَـدَتْ مخلوقة من أعـين لم تُـبْصرِ !

*

أنَّى لشاكٍ صوتُه أنْ يُسْـمَعا أنَّى لبـاكٍ دمعُـه أنْ يَنفعا
صخرٌ أحسَّ رجاءَنا فتصدَّعا وأتى الرجاءُ قلوبَهم فتقـطَّعا ..
لا تعجبوا ، فمن الصخورْ نبعٌ يفورْ
ولهم قلوبٌ كالقبـورْ بلا شعورْ
لا تلتمسْ يوماً رجاءً عندَ مَنْ جرَّبْـتَهُ فوجدتَـهُ لم يَشْـعُرِ

الساعات الثلاث

الساعة الأولى

انا ساعةُ النفسِ الأبيّهْ   الفضلُ لي بالأسبقيّهْ

أنا بِكْرُ ساعاتٍ ثلاثٍ كلها رمزُ الحميّهْ

بِنْتُ القضيّةِ إنّ لي   أثراً جليلاً في القضيّهْ

أثَرَ السُّيوف المشْرَفيّةِ والرماحِ الزاغبيّهْ

أودعتُ في مُهجِ الشبيبةِ نفْحةَ الرُّوحِ الوفيّهْ

لا بدَّ من يوم لهم   يَسْقي العدى كأسَ المنيّهْ

قسماً بروح (فؤاد) تصعدُ من جوانحِهِ زكيّهْ

تأتي السماءَ حفيّةً   فتحلُّ جنّتَها العليّهْ

ما نال مرتبةَ الخلودِ بغيْرِ تضحيةٍ رضيّهْ

عاشتْ نفوسٌ في سبيلِ بلادِها ذهبتْ ضحيّهْ

الساعة الثانية

أنا ساعةُ الرجل العتيـــــدِ   أنا ساعةُ البأسِ الشديدِ

أنا ساعةُ الموت المشرِّفِ كلَّ ذي فعــــلٍ مجيدِ

بَطلي يُحطِّمُ قيدَهُ ـ رمزاً لتحطيم القيودِ [1]

زاحمتُ مَنْ قَبْلي لأسْبِقَها الى شَرَفِ الخـــلودِ

وقَدَحْتُ في مُهَجِ الشبابِ شرارةَ العزمِ الوطيـدِ

هيهاتَ يُخدَعُ بالوعودِ ، وأن يُخدَّرَ بالعهـــودِ

قسماً بروحِ (محمدٍ) : تَلْقى الردى حُلْوَ الورودِ

قسماً بأُمِّكَ عنـــد موتِكَ وهي تهتفُ بالنَّشيـدِ

وترى العزاءَ عَنْ ابنِها في صيتِه الحسنِ البعيـدِ

ما نال مَنْ خـــدمَ البلادَ أجَلَّ من أجْرِ الشهيدِ

---

(١) نفذ حكم الاعدام بالأبطال الثلاثة في ثلاث ساعات متواليـــة . فكان أولهم فؤاد حجازي وثانيهم محمد جمجوم وثالثهم عطا الزير . وكان المقرر رسمياً أن يكون الشهيد عطا ثانيهم ولكن جمجوماً حطم قيده وزاحم رفيقه على الدور حتى فاز ببغيته !

الساعة الثالثة

أنا ساعةُ الرّجل الصَّبورِ　　أنا ساعةُ القلبِ الـكبيرِ
رمزُ الثَّباتِ الى النِّهاية في الخطـــيرِ من الأمورِ
بـطَلي أشدُّ على لقـــاءِ الموتِ من صُمِّ الصُّخورِ
جذلانُ يرتقبُ الرَّدى　　فاعجبْ لموتٍ في سرورِ
يَـلْقى الالـه (مُخضَّـبَ الـكفَّـيْن) في يومِ النُّشورِ
صَـبْرُ الشبابِ على المصابِ وديعتي مـــلءُ الصُّدورِ
أنْذرتُ أعـــداءَ البلادِ　　بشرٍّ يومٍ مُستطـــيرِ
قسماً بروحـــك يا (عطاء) وجنَّـــةِ المليكِ القـديرِ
وصغارِكَ الأشبالِ تبكي اللَّـيثَ بالدّمـــعِ الغزيرِ
ما أنقذَ الوطنَ المفـدَّى　　غـــيرُ صبَّارٍ جَسورِ

الخاتمـــة

الأبطال الثلاثة

أجسادهمْ في تربـــة الأوطانِ　　أرواحُـهم في جنَّـــةِ الرّضْوانِ
وهناكَ لا شكوى من الطغيانِ　　وهناك فيْـضُ العـفْوِ والغفرانِ

لا ترجُ عفواً من سواهْ هو الالهْ
وَهْـوَ الذي ملـكت يداهْ كلَّ جاهْ
جَـبَرُوتُـه فوقَ الَّـذين يغرّهمْ جَـبَرُوتُـهمْ في برِّهمْ والأبحرِ

تفاؤل وأمل *

كَفْكِفْ دموعَكَ ، ليس ينفعُكَ البكاءُ ولا العويلُ
وانهضْ ولا تشكُ الزمانَ ، فما شكا الاَّ الكسولُ
واسلكْ بهمَّتِكَ السَّبيلَ ، ولا تقلْ كيف السَّبيلُ
ما ضَلَّ ذو أملٍ سَعى يوماً وحكمتُه الدَّليلُ
كلاَّ ، ولا خابَ امرؤٌ يوماً ومقْصدُه نبيلُ

أفْنَيْتَ يا مسكينُ عمرَكَ بالتَّأوُّهِ والحزَنْ
وقعدتَ مكتوفَ اليدْين تقولُ : حاربني الزَّمنْ
ما لمْ تقمْ بالعبءِ أنتَ ، فمَنْ يقومُ به اذن ؟

*

(*) القيت في الحفله التي اقامتها كلية النجاح الوطنية في نابلس في نهاية العام الدراسي ١٩٢٨ وكانت الروح الوطنية قد دخل عليها الكثير من الوهن والتشاؤم ، كما راج في اثناء ذلك سوق الدجالين من محترفي الوطنية الزائفة .

كم قلتَ : « امراض البلاد » ؛ وأنتَ من أمراضها
والشؤْمُ عِلّتُها : فهلْ فتّشْتَ عن أعْراضها
يا مَنْ حَمَلْتَ الفأْسَ تهدِمها على أنقاضِها
أُقعدْ فما أنتَ الذي يَسْعى الى إنهاضها
وانظرْ بعينيْك الذئابَ تَعُبُّ في أحواضها

وطنٌ يُباع ويُشترى وتصيحُ:«فليحيَ الوطنْ»؟!
لو كنتَ تبغي خَيْرَهُ لبذلتَ من دمِك الثمن
ولقمتَ تَضْمِدُ جرْحَهُ لو كنتَ من أهلِ الفطنْ

*

أضحى التشاؤُمُ في حديثك بالغريزَةِ والسَّليقَهْ
مِثْل الغرابِ ، نَعى الدّيارَ وأسْمَعَ الدّنيا نعيقَهْ
تِلكَ الحقيقةُ ، والمريضُ القلبِ تجرحُهُ الحقيقهْ
أمَلٌ يلوحُ بريقُه فاستَهْدِ يا هذا بريقَهْ
ما ضاقَ عَيْشُك لو سعيتَ له ، ولوْ لمْ تشْكُ ضِيقَهْ

لكِنْ توَهَّمْتَ السَّقامَ ، فأسقمَ الوهْمُ البدنْ
وظننْتَ أنكَ قدْ وَهنْتَ فدَبَّ في العظمِ الوهنْ

والمــرءُ يُرْهِـبُهُ الرَّدى   مـا دام ينظـرُ للكفنْ

*

أللهَ ثم أللهَ مـا أحْلى التَّضـامُـنَ والوفاقـا !
بوركْـتَ مُؤْتمراً تألَّـفَ لا نزاعَ ولا شقاقا (١)
كَمْ مِنْ فؤادٍ راقَ فيه ، ولم يكنْ مِنْ قبـلُ راقا
اليومَ يشربُ موطـني كـأسَ الهناءِ لـكُمْ دهاقا
لا تعبـأوا بمشاغبـين ترَوْنَ أوْجهَهم صِفاقا

لا بُدَّ من فِئـةٍ ـ أجِلُّـكُـمُ ـ تَلَذُّ لها الفِـتَنْ
تلك النفوسُ مِنَ الطُّفـولةِ أُرْضِعَتْ ذاكَ اللبن
نَشأتْ على حُبِّ الخِصامِ ، وباتَ يَرْعاها النَّتَنْ

لا تَحْفِلوا بالمرْجفينَ ، فإنَّ مَطْلَبَهمْ حقـيرُ
حُبُّ الظهورِ على ظهورِ النـاسِ مَنْشأُه الغرورُ
ما لَمْ يكنْ فَضلٌ يَزِينُـك فالظُّهورُ هو الفجورُ
سيروا بعيْن اللهِ ؛ أنتمْ ذلكَ الأمـلُ الكبيرُ

---

(١) عقد في تلك السنة مؤتمر « عربي عام » في القدس الشريف .

سيروا فقدْ صَفَت الصُّدورُ ؛ تباركَتْ تلكَ الصُّدورُ

سيروا فَسُنَّتكُمْ لخيْرِ بلادكمْ خَيْرُ السُّنَن
شُدُّوا المودَّةَ والتآلفَ والتَّفاؤُلَ في قَرَنْ
لا خوْفَ إنْ قامَ البِناءُ على الفضيلةِ وأرتكنْ

*

حيِّ الشبابَ وقُلْ سلاماً إنَّكمْ أمَلُ الغدِ
صَحَّتْ عزائمكُمْ على دفْعِ الأثيمِ المعتدي
واللهُ مَدَّ لكمْ يداً تعْلو على أقوى يدِ
وطني أزُفُّ لك الشَّبابَ كأنَّهُ الزَّهَرُ النَّدي
لا بُدَّ من ثمرٍ لهُ يوْماً وانْ لمْ يَنْعقِدِ

رَيْحانُه العلمُ الصَّحيح ، وروحُه الخلقُ الحسنْ
وطني ، وانَّ القلبَ يا وطني بحبِّكَ مُرتَهَنْ
لا يطمئِنُّ ؛ فإنْ ظفِرْتَ بما يُريدُ لكَ أطمأنْ

الى بائعي البلاد ..

باعوا البــلادَ الى أعــدائهم طمعاً
بالمــال لــكنما أوطانَهم باعــوا ...
قد يُعذرون لو أنَّ الجوعَ أرغمهم
واللهِ ما عطشوا يوماً ولا جاعــوا
وبُــلْغَــةُ العارِ عند الجوع تلفِــظُها
نفسٌ لهــا عن قبولِ العار .ردَّاعُ
تلك البلادُ إذا قلتَ:اُســمُها «وطنٌ»
لا يفهمون ، ودون الفَــهْم أطــماع

*

أعداؤنا ، منذ أنْ كانوا ، (صَيارفةٌ)
ونحن ، منذ هبطنا الأرضَ ، (زُرَّاعُ)
لَمْ تعكسوا آيَةَ الخلاَّقِ ، بل رجعت
الى اليهــود بــكم قربى وأطيــاعُ

يا بائعَ الأرضِ لم تحفِلْ بعاقبةٍ (١)
ولا تعلَّمتَ أنَّ الخصمَ خدّاعُ

لقد جنيتَ على الأحفاد ، والهفي
وهم عبيدٌ ، وخُدَّامٌ ، وأتباعُ !

وغرّكَ الذّهبُ اللّماعُ تُحْرِزُهُ
إنَّ السَّرابَ كما تدريه لمَّاعُ

فكِّرْ بموتكَ في أرضٍ نشأتَ بها
واتركْ لقبركَ أرضاً طولها باعُ

اشتروا الأرض تشتريكم من الضيم

حبَّذا لو يصومُ منّا زعيمٌ مثلُ (غَنْدي) عسى يُفيدُ صيامُهْ
لا يَصُمْ عن طعامِه ... في فلسطين يموت الزعيمُ لولا طعامُهْ ...
لِيَصُمْ عن مبيعِه الأرضَ يحفظْ بقعةً تستريحُ فيها عظامُهْ
باركَ اللهُ في حريصٍ على الأرضِ غيورٍ يُنْهى اليها اهتمامُهْ
هم حماةُ البلاد من كل سوءٍ وهُمُ معْقِلُ الحمى ودِعامُهْ
نهجوا منهجَ القويِّ وصفُّوا لجهاد منصورةٌ أعلامُهْ

*

إنما عُدَّةُ الضعيفِ (احتجاجٌ) لم يجاوِزْ حدَّ السطورِ احتدامُهْ
كلَّ يومٍ حزبٌ وحُلْمٌ فحدِّثْ عن ضعيفٍ سلاحُهُ أحلامُهْ
مغرمٌ بالبلادِ صَبٌّ ولكنْ بسوى القول لا يفيضُ غرامُهْ
بَطَلٌ إنْ علا المنابرَ ، كرّارٌ ، سريعٌ عند الفعالِ انهزامُهْ !!

آزِروا القائمينَ بالعمل الصالح إنَّ الأبيَّ هذا مَقامُهْ (١)
آزروهم بالمال فالأرضُ (صندوقٌ) لمالِكم ، بل قِوامُهْ
اشتروا الأرضَ تشتريكم من الضَّيْمِ وآتٍ مُسْوَدَّةٌ أيامُهْ ...

(١) الاشارة الى الذين قاموا بمشروع (صندوق الأمة) وكانت غايته انقاذ الأراضي في فلسطين .

يا رجال البلاد

لا تبالي بألْـفِ خَـطْبٍ عراها نفسُ حُزنٍ مفجوعَـةٌ بحِماها

شـفَّها الغيـظُ والأسى وتراها كَظَمتْ غيظها ، وأخفتْ أساها

كلما أوشـكتْ تسيلُ دموعي ملكَ اليـأسُ غَـرْبَـها فثناها

لا تلُـمْني ، فـكم رأيتُ دموعاً كاذباتٍ ضحكتُ ممَّـنْ بكاها

قد سقى الأرضَ بائعوها بكاءً لَعَـنَتْـهُمْ سـهولُها ورباها

وطـني مبتـلىً بعُـصْبـةِ (دلاَّلين) لا يـتَّقونَ فيـه اللهَ

في ثيابٍ تُريكَ عِزاً ولـكنْ حَشْـوُها الذُّلُّ والرِّياءُ سَدَاها

ووجوهٍ صفيقـةٍ ليس تَـنْدى بجـلودٍ مدبوغـةٍ تغشاها

وصـدورٍ كأنهنَّ قبـورٌ مظلماتٌ قـلوبُهمْ مَـوْتاها

حُـسِبوا في الرجالِ ، هلْ كانتْ الأنعامُ إلاَّ لمثـلِهم أشباها .. ؟

*

يا رجـالَ البلادِ يا قادةَ الأمَّـةِ ماذا دهاكمُ ودهاها ..؟

هل لديكمْ سياسةٌ غيرَ هذا القَوْل يُحيي من النفوس قواها
صَكَّتِ الألسنُ المسامعَ حتى لَقِيَتْ منْ ضجيجكم ما كفاها
عرفَ الناسُ والمنابرُ والأقلامُ أفضالَكم فهاتوا سواها
كلكم بارعٌ بليغٌ ـ بحمد الله ـ طَبٌّ بحالنا ودواها
غيرَ أنَّ المريضَ يرقبُ منكمْ هذه الجرْعةَ التي لا يراها
كان أوْلى بكم لو أنَّ مع القول فعالاً محمودةً عُقباها
مَثَلُ القولِ لا يؤيِّدُه الفعلُ ، أزاهيرُ لا يفوحُ شذاها
وهو كالدَّوْحةِ العقيمِ : ظلالٌ واخضرارٌ ولا يُرجّى جناها

*

رحم اللهُ مخلصاً لبلادٍ ساوموه الدّنيا بها فأباها
لو أتوْهُ بالتّبر وَزْنَ ثراها لأباهُ وقال أفدي ثراها
أنفروا أيّها النيامُ فهذا : يومَ لا ينفعُ العيونَ كراها
كُشِفَتْ منكمُ المقاتلُ وامتدّتْ اليها المثقفاتُ قناها
نبِّئوني عن القويّ متى كان رحيماً ، هيهاتَ مَنْ عَزَّ تاها
لا يلينُ القويُّ حتى يُلاقي مثلَهُ عِزَّةً وبطشاً وجاها
لا سمتْ أمّةٌ دَهَتْها خطوبٌ أرْهَقَتْها ولا يثورُ فتاها

فلسطين مهد الشقاء

كان بعض الناس في الأقطار العربية المجاورة يرون الثراء الزائف الذي تمتعت به قلة من السماسرة وباعة الأراضي العرب فتعمى قلوبهم عما وراء هذه البيوع من خطر سيحل بفلسطين.

إخوانَنا أهلَ الوفاءِ أهلَ المودّةِ والولاءِ
مِنْ كلِّ قُطرٍ بالعُروبة ذي ازدهارٍ وازدهاءِ
أحبابَنا لا تُخدَعوا عنّا بظاهرةِ الرّخاء . . .
ليستْ فلسطينُ الرخيّةُ غيْرَ مهدٍ للشّقاءِ
عُرِضَتْ لكم خلفَ الزّجاج تميسُ في حلل البهاءِ
هيهات ذلكَ إنَّ في بَيْعِ الثّرى فَقْدَ الثّراءِ
فيه الرحيلُ عن الربوع غداً إلى وادي الفناءِ ! (١)
فاليوم أمرحُ كاسياً وغداً سأُنبذُ بالعراءِ

(١) لقد تحققت تلك النبوءة .

وأضَـعتُ صادقـةَ الرَّجاءِ فأينَ كاذبةُ الرَّجـاءِ
مَنْ ذا ألومُ سـوى بني وطني على هذا البَلاءِ

*

للحَـقِّ سَـطرٌ في صحافـتِنا وللتَّـضليلِ نهرُ
قلِّـبْ صحائـفَها يُـطِلُّ عليك بهتانٌ وهُجْرُ
للخاملين نبـاهـةٌ فيها وللأغمارِ ذِكرُ
هذا يُقالُ له الزّعيمُ .. كما يُقالُ لذاكَ حُرٌّ ..
وهناكَ سِمْسارُ البـلادِ فإنه الشَّهْمُ الأغرُّ
فالمدحُ مثلُ القدحِ تـضْمنُـهُ لهم خُضْرٌ وحمرُ (١)
تلك الصحافة (كيمياء) لهـا بخلق الله سِرٌّ ..
تدع الـكرامةَ وهي هزلٌ والمروءةَ وهي سُـخْرُ
أين الصحافيُّ الصّريحُ تراهُ يعلن ما يُسِـرُّ
صلْـبٌ فلا قُـرْبى تميـلُ به ، ولا مالٌ يَغُرُّ

مُنْـذُ احتلالِ الغاصبين ونحن نبحث في السياسـهْ
شأنُ الضميرِ مع السِّياسة كالرَّقيق مع النّخاسـهْ
مرَّتْ علينا ستّ عَشْرةَ ، كُنَّ مَجْلَبَـةَ التّعاسـهْ

(١) إشارة الى ورق النقد الفلسطيني .



فإلى متى يا ابنَ البلاد وأنت تُـؤْخـذُ بالحماسـهْ
وإلى متى (زعمـاءُ) قومِـكَ يخلبونـك بالـكياسـهْ
ولـكم أحَـطْنا خائنـاً منهم بهالاتِ الـقَداسـهْ ..
ولـكم أضاعَ حقوقَـنا الرَّجلُ الموكَّـلُ بالحراسـهْ !.
واللهِ ليس هنـــاك إلاَّ كلُّ قنَّـاصِ الرئاسـهْ
تأتيـه مِنْ بيْـع البـلادِ وما إليه من الخساسـهْ
وإذا اتَّـقاك (فبالجرائد) والنجاسـةُ للنجاسـهْ (١)

---

(١) كـثر في ذلك الحين تسليط الصحافة للنيل من كرامات الناس .

أطلقي ذاكِ العيارا

« في ذكرى وفاة الملك حسين »

« ...وتوكل الشريف على الله، ونهض في صباح اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ - ٢حزيران سنة ١٩١٦ - قبل الفجر وبيده بندقية أطلقها طلقة واحدة كان لدويها صدى في جدة والطائف والمدينة... »

ملوك العرب للريحاني : ج ١

١

أطلقي ذاكِ العيارا   قدْكِ ضيماً واصطبارا
يُطلبُ العزُّ ابتدارا   يدرك المجد اقْتِسارا
أطلقي ذاكِ العيارا

حطّمي القيدَ الثقيلا   واركبي الهولَ سبيلا
عاش يا نفسُ ذليلا   بك من كان بخيلا
أطلقي ذاكِ العيارا

دبِّــري الأمرَ نهارا واطلبـي الحقَّ جهارا
واهبطي الهيجــاءَ دارا ذلَّ من يُغفــل ثارا
أطلقي ذاكِ العيارا

يا لأَعنـاقِ الرجــالِ كيف مالت بالحبالِ
هاكِ أشــبالي ومــالي وعتــادي للقتــالِ
أطلقي ذاكِ العيارا

أعْـنَـقَتْ تسري انتشارا فــكرةٌ تحمــلُ نارا
تهبــطُ القلبَ قرارا تُلهبُ الـصَّدرَ استعارا
أطلقي ذاكِ العيارا

عَلِــقَتْ ثَمَّ يــداهُ بزناد فطــواهُ
أضرم البيــدَ ســناهُ ثم ردَّدن صــداهُ
أطلقي ذاكِ العيارا

٣

انظري يوم أغــارا أيَّ أبطــالٍ أثــارا
أيَّ كاســاتٍ أدارا بين صرعى وسُــكارى
أطلقي ذاكِ العيارا

احشدي البيدَ أُســودا واملأي الشامَ حقودا

ووعــوداً وعهــودا وبنــوداً وبنودا

أطلِقِي ذاكِ العيارا

المــنايــــا تتبارى والأماني الــكبارا

طــبِّقي الأرضَ انتصارا واعــتزازاً وافتخارا

أطلقي ذاكِ العيارا

اغدري غــدرَ القويِّ بالحسين بن عــليِّ (١)

لستِ بالخلِّ الوفيِّ للحليفِ العربيِّ

فاملأي التاريخ عارا

*

أمَّـتي ، قَدْكِ اصطبارا فاطلبــي العزَّ ابتدارا

وخذي المجد اقتسارا هاجني الماضي ادّكارا

أطلقي ذاكِ العيارا

---

(١) الضمير يعود الى بريطانيا العظمى .

شريعة الاستقلال

يومٌ بداجية الزّمان ضياءُ ... وبَهاؤه، للخافقَين بهاءُ

يُزجي النسيمَ به هجيرٌ لافحٌ ... عجباً !! وتبسط ظلَّه الصحراءُ

ويرفُّ من شظف المعيشة لينها ... ويسيل من وهج السَّراب الماءُ

وإذا الرشادُ من الضلالة والعمى ... ومن الشقاق تآلف وإخاءُ

وإذا من الفوضى نظام معجز ... وقيادة وسيادة ودهاءُ

وإذا الخيام قصور أملاك الورى ... وإذا القفار دمشق والزوراءُ

وعلى ربوع الصين كبَّر فيلقٌ ... وبأرض قسطنطين رفَّ لواءُ

تلك الخوارق إن طلبت أدلةً ... ثبتَ البراقُ بهن والاسراءُ

نزل الكتاب على النبيّ محمدٍ ... ما يصنع الخطباءُ والشعراءُ !!

لو لم يكن وحيَ السماءِ ونورَه ... لمحته عارضةٌ له وذكاءُ

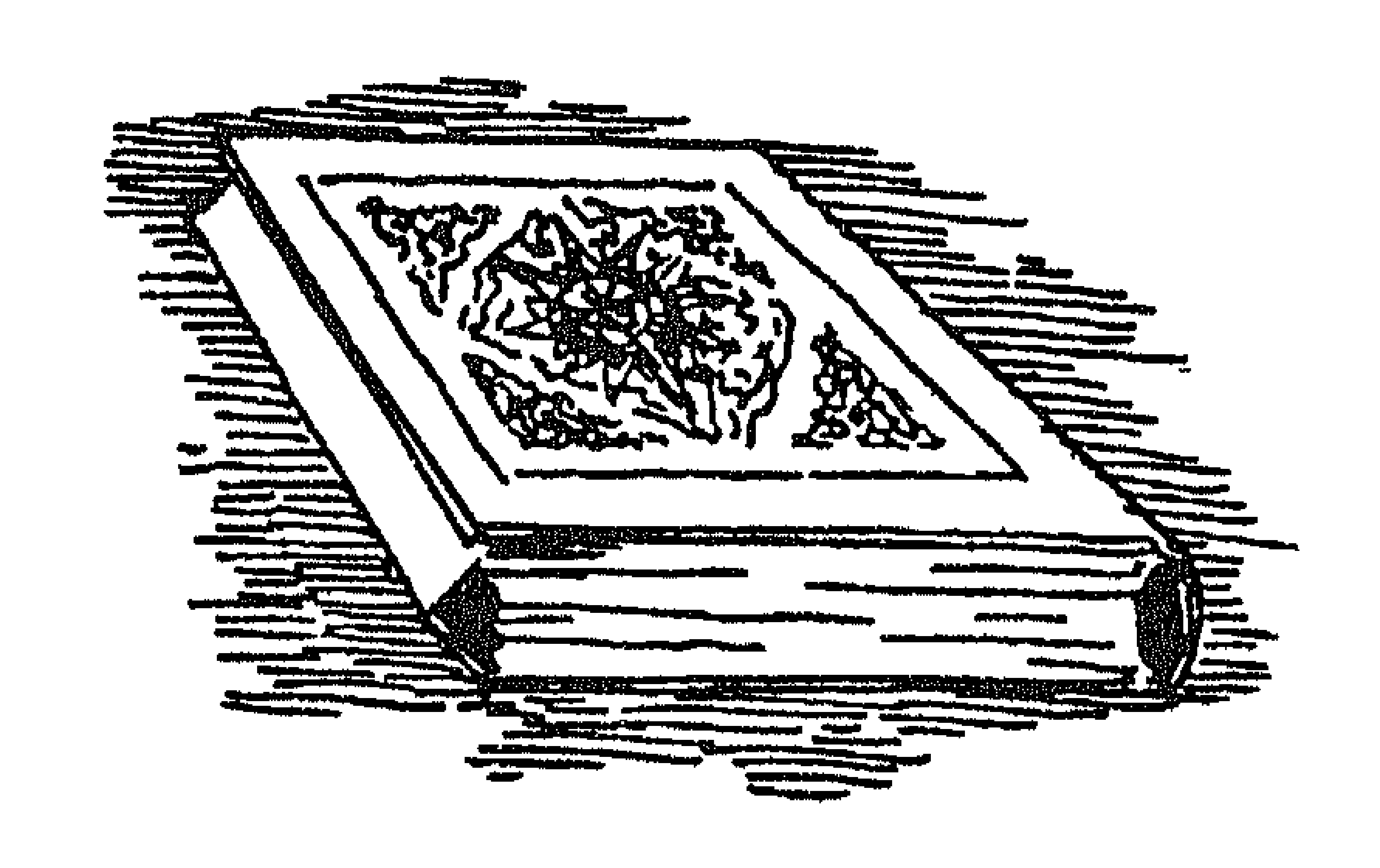
سَحَرَ القلوبَ فراح يقذفها على ... نار الجهاد اولئك البسلاءُ

هيهات ما نكصوا على أعقابهم ... حتى انجلت عنهم وهم شهداءُ

حرّيةٌ آيُ الـكتاب وسؤددٌ وعزيمة وكرامـة وإباءُ

*

ناديت قومي لا أُخصِّصُ مسلماً ابناء يعرب في الخطوب سواءُ
ان الـكتابَ شريعةُ استقلالـكم فتدبّروه وأنتم الخلفاءُ ...



الفدائي

عينت الحكومة المنتدبة يهودياً بريطاني الجنسية لوظيفة النائب العام في فلسطين. فأمعن في النكاية والكيد للعرب بالقوانين التعسفية الجائرة التي كان (يطبخها). ولما ثقلت على العرب وطأته، كمن له أحد الشبان المتحمسين في مدخل دار الحكومة في القدس وأطلق النار عليه فجرحه.

لا تَسلْ عن سلامتِهْ   روحه فوق راحتِهْ

بدّلَتْهُ همومُهُ   كفناً من وسادتِهْ

يَرقبُ الساعةَ التي   بعدَها هولُ ساعتِهْ

شاغلٌ فكرَ مَنْ يراهُ بإطراقِ هامتِهْ

بيْنَ جنبيْهِ خافقٌ   يتلظّى بغايتِهْ

من رأى فَحْمةَ الدُّجى   أُضْرِمَتْ من شرارتِهْ

حَمَّلَتْهُ جهنّمٌ   طَرَفاً من رسالتِهْ

هــو بالبــابِ واقفُ والرَّدى منــهُ خائفُ
فاهـدأي يا عـواصفُ خجــلاً من جراءتِـهْ

*

صـامتٌ لوْ تكلَّما لَفَظَ النَّارَ والدِّمـا
قُـلْ لمن عـاب صمتَـهُ خُـلِقَ الحزمُ أبكما
وأخـو الحـزم لم تزلْ يـدُهُ تَسْبِـقُ الفـما
لا تلومـوه ، قـد رأى منْهجَ الحـقِّ مُظلما
وبـلاداً أحبَّهـا ركنُـها قـد تهدَّما
وخصومـاً . ببغْيِهـمْ . ضجَّت الأرضُ والسما
مرَّ حـينٌ ، فـكاد يقتـلُهُ اليـأْسُ ، إنما ..

هــو بالبــاب واقفُ والرَّدى منــه خائفُ
فاهـدأي يا عـواصفُ خجــلاً مِن جراءتِهْ



حطين

نظمها ابراهيم يوم عزم أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي بك على زيارة فلسطين وأخذ الأدباء يعدون العدة لاقامة مهرجان له. ولكن الزيارة لم تتم. وقد رمى ابراهيم من وراء هذه القصيدة الى إثارة امير الشعراء لينظم شعراً في فلسطين وفي قضيتها.

أهْلاً بربِّ المهرجانِ أهْلاً بنابغةِ البيانِ
ملكِ القلوبِ المستقِلِّ بعرشِها ، والصوْلجانِ
ومتوَّجٍ حالتْ اشعَّةُ تاجِهِ دونَ العِيانِ
أهْلاً (بشوقي) شاعرِ الفُصحى ومعْجزةِ البيانِ
يا فَرقدَ الشعراءِ كمْ من فرقدٍ لعُلاكَ رانِ
عَلَما الخلود مُنَشَّرانِ على سريركَ يخْفُقانِ
جبريلُ ينفخُ في فؤادكَ ما يفيضُ على اللِّسانِ
وأمدَّ بالنفحات روحَكَ حين طوَّف بالجِنانِ
فإذا بأبكارِ الجِنانِ لديْكَ أبْكارُ المعاني

يا باكيَ الفيحاءِ حين أبتْ تُقيمُ على الهوانِ
أيامَ كانتْ وردةً بدمِ البواسِلِ كالدّهانِ
أرْسَلْتَ عنْ (بَرَدى) سلامَك في لظى الحرب العوانِ (١)
وذرفتَ « دمعاً لا يُكفْكفُ » هيَّجتْهُ الغُوطتانِ
البيتُ ممّا قُلْتَهُ فيهِ تخايلُ جنَّتانِ
أبداً رثاؤكَ فيهما، عينانِ دمعاً تجريانِ
هذا وإنَّ جناهما لَلْصَّعْبُ فاعجبْ وهو دانِ

عَرِّجْ على حطّينَ واُخشعْ يُشْجِ قلبَكَ ما شجاني
وانظرْ هُنالِكَ هل ترى آثار (يوسف) في المكانِ
أيْقظْ (صلاحَ الدّين) ربَّ التّاج والسَّيفِ اليماني
ومثيرَها شَعْواءَ أيُّوبيَّةَ الخيْلِ الهِجانِ
بالعاديات لديْه ضبحاً والأسنَّةُ في اللَّبانِ
ترْمي بمارجِها وما غَيْرَ العجاجة من دخانِ

في كلِّ خطّارٍ على الأخطار صَبَّارِ الجَنانِ
حَلَقاتُ أدرعِهمْ قيودُ الموْتِ في دَرَكِ الطعانِ

---

(١) اشارة الى قصيدة شوقي التي مطلعها :
سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

وسيوفُهم ماءُ الحميمِ على مضاربهنَّ آنِ
والخيلُ طوعُ كماتِها في النَّقعِ مُرخاة العِنانِ
لا تنثني أوْ تحرزَ القَصبات في يومِ الرِّهانِ
حطِّينُ يومُك ليس يُنكرُ شاهديه الخافقانِ
تتطايرُ الأرواحُ فيه من السِّنانِ إلى السِّنانِ
وترى السِّهامَ مُقَوَّماتٍ فوْقَ أجسامٍ حوانِ
فإذا أديمُ الأرض أحمرُ من دمِ الافرنج قانِ
يُسْقَوْن من كأس الرَّدى ومليكُهم ظمآنُ عانِ
حتّى انجلى رَهَجُ الوغى والنَّصرُ مَرْموقُ العَنانِ
ومشى صلاحُ الدّين تحت لوائِهِ في مِهْرجانِ
وعلا الأذانُ ورَجَّعَتْ تكبيرَهُ شُرَفُ الأذانِ

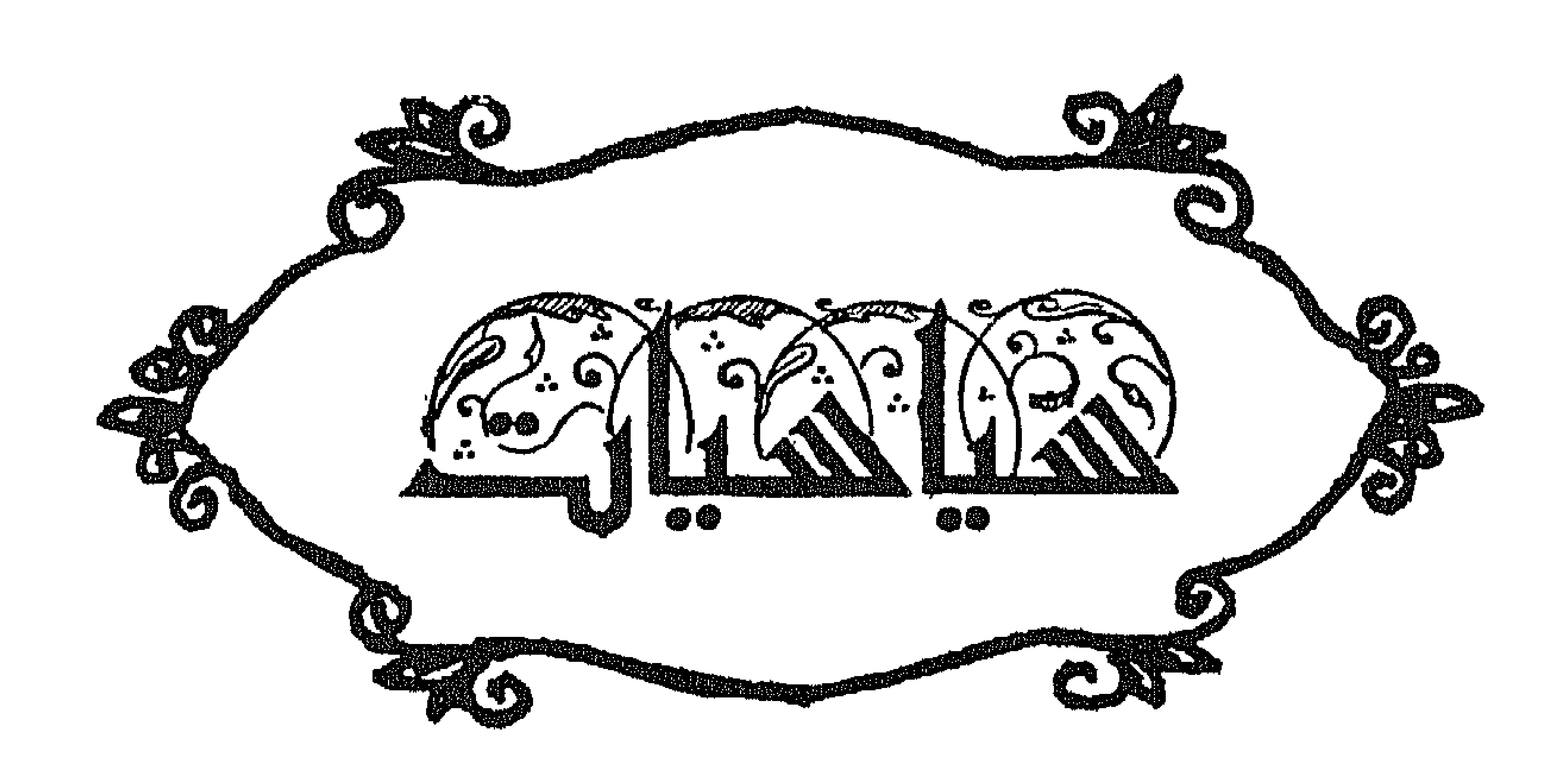
أمقوِّضَ الدُّولاتِ مَنْ لي مِنْ صُروفِك بالأمانِ
دُكَّت صُروحٌ ما بنى أمثالَها في المجدِ بانِ
جلَّ المصابُ « أبا عليٍّ » فابْكِ هاتيكَ المغاني
ذهبَ الذين عهدتَهم لا يصبرون على الهوانِ
في مصرَ يطمعُ أشْعَبٌ وهنا تبادى أشْعبانِ (١)

---

(١) اشارة الى الاستعمار والصهيونية في فلسطين .

وهنـا التخـاذلُ في الشّـدائدِ وَالتّـشاؤُمُ والتّـواني
والنّـفسُ يقتُـلُ عزمَـها طولُ التّـعلُّـلِ بالأماني

خُذْها إليكَ وأنتَ عنها يا أميرَ الشّعر غانِ
حسنـاءَ فيهـا للصِّـبا نزقٌ على خَفَـرِ الحسانِ
نَـفَحاتُـها مِنْ « كَرْمةٍ » تُعزى الى الحسن بنِ هاني
هَيْـهاتَ تبلـغُ شأوَكَ الشعراءُ يوماً أوْ تداني



غـايتي

إنَّ قلــــبي لبلادي　　لا لحزبٍ أو زعيمِ
لم أبِعْــهُ لشقيــقٍ　　أو صديقٍ لي حميمِ
ليس مــني لو أراه　　مرةً غـــيرَ سليمِ
ولساني كفــؤادي　　نيـطَ منـه بالصَّميمِ
وغدي يُشبـه يومي　　وحديـثي كقــديمي
لم أهَـبْ غيظَ كريم　　لا ولا كيْدَ لئيمِ
غـايتي خدمـةُ قومي　　بشقــائي أو نعيمي

الى الأحرار

قرر الزعماء العرب في فلسطين الخروج بعد صلاة الجمعة من كل اسبوع بمظاهرة سلمية تعلن في المدن الفلسطينية، الواحدة تلو الاخرى، فألقت الشرطة البريطانيــة القبـض عـلى بعـض الزعماء العرب واعتبرتهم مسؤولين عن هذه المظاهرات وساقتهم الى المحاكمة. ثم صدر عليهم الحكم بالسجن أو توقيع الكفالات. فوقعوا كلهم إلا المرحوم الشيخ عَبد القادر المظفر الذي فضل السجن على توقيع الكفالة.

أحرارَنا! قد كشفتم عن (بطولتكم) ... غطاءَها يوم توقيع الـكفالات..
أنتم رجـــال خطابات منمّـقـــةٍ ... كما علمنا، وأبطال (احتجاجاتِ)
وقد شبعتم ظهوراً في (مظاهرةٍ) ... (مشروعةٍ!) وسكرتم بالهتافاتِ
ولو أُصيب بجرحٍ بعضُــكم خطأً ... فيهـــا، إذاً لرتعتم بالحفاواتِ
بل حكمةُ اللهِ كانت في سلامتكم ... لأنكم غـير أهـل للشهاداتِ

أضحتْ فلسطينُ من غيظ تصيح بكم: ... خلُّـوا الطريق فلستم من رجالاتي
ذاك السجين(١) الذي أغلى كرامته ... فداؤه كل طـلاّب الزعاماتِ

---

(١) الاشارة الى المرحوم الشيخ عبد القادر المظفر.

الأيمان الوطني

أو جماعة (السار)

ليت لي من جماعة (السّار) قوماً يتفانون في خلاص البـــــلادِ
أو كإيمانهم رسوخـــاً وعمقـاً ثابت الأصـل في قرار الفؤادِ
مثل هذا الايمان يَضْـمَنُ للأوطان عزّاً ، ومثـل هـذا التفادي
لا كإيمان من ترى في فلسطين . . . قصيرِ المدى ، كايلِ الزنادِ
يتـداعى إذا تسلّــطَ وعـدٌ أو وعيد عليـــه عند العوادي
أو قطوبٌ ... تخيب منه المساعي ، وابتسامٌ ... تذوب فيه المبادي
لا تلمني إن لم أجد من وميضٍ لرجـاءٍ ما بـين هـذا السوادِ

الشيخ المظفر

أنظر لِمَا فعل (المظفَّر) ، إنه   نَفَعَ القضيةَ غائباً لم يحضرِ !.
أحيى القلوب ، ودونهنّ ودونَه   غرفُ الحديد ، وحامياتُ العسكرِ
عرضوا الكفالةَ والكرامةَ عنده   عبثاً.. وهل عَرَضٌ يقاس بجوهرِ ؟
ورأى التحيُّرَ في التخيُّرِ سُبَّةً   ففدى كرامته (بستّة أشهُرِ)
لم يخْلُ ميدانُ الجهاد بسَجْنه   فلقد رماه بقلبه المتسعّرِ
ولكم خلا بوجود جيشٍ زاخرٍ   يمشي إليه بِخَطْوِهِ المتعثّرِ
إن (المظفَّر) من حديدٍ جسمُه   فيما أرى، وجسومُهم من سُكّرِ !

(*) الاشارة هنا الى المرحوم الشيخ عبد القادر المظفر .

أيها الأقوياء (*)

قد شهدنا لعهدكم (بالعدالهْ) .. وختمنا لجندكم بالبسالَهْ !.
وعرفنا بكم صديقاً وفيّاً كيف ننسى انتدابَه واحتلالَهْ ..
وخجلنا من (لطفكم) يوم قلتم : وعدُ بلفور نافذٌ لا مَحالَهْ
كلُّ (أفضالكم) على الرأس والعين ، وليست في حاجة لدلالَهْ !.
ولئن ساء حالُنا فكفانا أنكم عندنا بأحسن حالَهْ ..
غير أن الطريق طالت علينا وعليكم ... فما لنا والاطالَهْ ؟!
أجلاءٌ عن البلاد تريدون فنجلو ، أم مَحْقنا والازالَهْ ؟! (١)

(*) موجهة الى حكومة الانتداب البريطانية .
(١) ولقد تحقق الجلاء عن الديار ...

القُدس *

دارَ الزعامة والأحزاب كان لنا | قضيةٌ فيك ، ضيّعنا أمانيها
هل تذكرين وقد جاءتكِ ناشئةً | غنيةً دونها الأرواحُ تَفْديها
تَودُّ لو وَجدَتْ يوماً أخا ثقةٍ | لديكِ يُوسِعُها بِرّاً ويحميها
ما كان كفؤاً عفيفَ النفس كافلُها | ولا أبيّاً حميَّ الأنف راعيها
ولا أفادتْ سوى الأحقاد تُضرمها | فوق البلاد (زعاماتٌ) وتذكيها
ولم تبالِ بما تلقي لها حطباً | ولا بأيّ كرام الناس ترميها
قضيةٌ نبذوها بعدما قُتِلَتْ | ما ضرَّ لو فتحوا قبراً يواريها



(*) بمناسبة التطاحن الحزبي الذي تفشى في فلسطين حينذاك . وكانت القدس ، بوصفها عاصمة البلاد ، مركز ذلك التطاحن .

السماسرة ..!

أمّا سماسرةُ البلاد فعصبةٌ ... عارٌ على أهل البلاد بقاؤها
إبليسُ أعلن صاغراً إفلاسَه ... لما تحقّق عنده إغراؤها
يتنعّمون مُكرّمين ، كأنّما ... لنعيمهم عمّ البلاد شقاؤها
همْ أهلُ نجدتها ، و إنْ أنكرتَهم ... وهمو ، وأنفك راغم ، زعماؤها !!
وحماتُها ، وبهم يتمّ خرابُها ... وعلى يديهم بَيْعُها وشراؤها
ومن العجائب إنْ كشفتَ قدورَهم ... أنّ الجرائد، بعضَهنّ، غطاؤها (١)
كيف الخلاص إذا النفوس تزاحمت ... أطماعُها ، وتدافعتْ أهواؤها

---

(١) الاشارة الى بعض الجرائد المأجورة التي كانت تدافع عن فئة من السماسرة وتستر خيانتهم .

١٠٠٠ *

أرى عدداً في الشؤم لا كثلاثةٍ وعشر ، ولكن فاقه في المصائبِ
هو (الألفُ) .. لم تعرف فلسطينُ ضربةً
أشـــدَّ وأنكى منـــه يوماً لضاربِ
يهاجر ألفٌ .. ثم ألفٌ مهرباً .. ويدخل ألفٌ سائحاً، غيرَ آيبٍ ..
وألف (جوازٍ) ، ثم ألف وسيلةٍ لتسهيل ما يلقونه من مصاعبِ
وفي البحر آلافٌ .. كأنَّ عبابَـه وأمواجَـه مشحونةٌ في المراكبِ

*

بني وطني ، هل يقظةٌ بعد رقدةٍ وهل من شعاعٍ بين تلك الغياهبِ
فوالله ما أدري ، ولليـــأس هـبّـةٌ
أنادي (أميناً) أم أهيب (براغبٍ)[1]

(*) موضوع هذه القصيدة هو هجرة اليهود الى فلسطين بموافقة الحكومة البريطانية المنتدبة وبالطرق غير المشروعة .

(١) الاشارة الى سماحـة الحاج امين الحسيني والى المرحوم راغب باشا النشاشيبي ، وكانا زعيمي الحزبين المتزاحمين في فلسطين .

أنتم ..! *

أنتم (المخلصون) للوطنيّهْ   أنتمُ الحاملون عبءَ القضيّهْ !!
أنتم العاملون من غير قولٍ !!   بارك الله في الزنود القويّهْ !!
(وبيانٌ) منكم يعادل جيشاً   بمعدّات زحفه الحربيّهْ ..
(واجتماعٌ) منكم يَرُدُّ علينا   غابرَ المجدِ من فتوح أُميّهْ ..
وخلاصُ البلادِ صار على الباب ؛ وجاءت أعيادُه الورديّهْ ..
ما جحدنا (أفضالكم) ، غيرأنّا   لم تزل في نفوسنا أُمنيّهْ :
في يديْنا بقيّةٌ من بلادٍ ..   فاستريحوا كيلا تطير البقيّهْ

(*) موجهة الى الزعماء الفلسطينيين .

لِمَن الرَّبيع ..؟

أرأيتَ مملكةَ الربيعِ يُعيدُ رونَقَها الربيعُ
ويُتوِّجُ الراعي بها مَلِكاً رعيَّتُه القطيعُ
الذئبُ يَرْهَبُه ويلثمُ كفَّه الحَمَلُ الوديعُ
آذار في رَحْبِ الفضاءِ سفيرُ دولته الرفيعُ
هاتيك ألوانٌ تشعُّ ، وتلكَ ألحانٌ تَشيعُ
لمن الربيعُ وطيبُه ؟ وهواه ، والزَّهَرُ البديعُ ؟.
فرحُ الربيعِ لمنْ له أرضٌ ، وليس لمن يبيعُ..



يا قوم ..!

هَزِلتْ قضيَّتُكم فلا لحمٌ هناك ولا دمُ
حتى العظام فقد تعرَّقَها الذئابُ وأُتخِموا
بَلِيَتْ قضيتكم فصارت هيكلاً يتهدَّمُ
ضمَرَتْ إلى (بلديَّةٍ) فيها العدا تتحكَّمُ (١)
أوضاعُها مجهولةٌ ومصيرها لا يُعلَمُ
يا قوم ليس عدوُّكم ممَّن يلين ويرحمُ
يا قوم ليس أمامكم إلاَّ الجلاء فحزِّموا .. (٢)

---

(١) كان الخصام بين الأحزاب العربية وقتئذ على أشده بسبب انتخابات البلديات في المدن الفلسطينية .
(٢) وقد وقع ذلك ويا للأسف ..

أيتها الحكومة *

علام احتراسُكِ ؟ لا أعلمُ .. وفيم احتشادُكِ ؟ لا أفهمُ ..
وهل في فلسطين ما ترهبين سوى أنه اجتمع الموسمُ :
جوادٌ براكبه عاثرٌ .. وأين له الفارس المُعْلَمُ ؟.
وسيفٌ بحامله ساخرٌ .. وأين له الكفُّ والمِعْصَمُ .؟
وهذا بتهديده يدَّعي وذاك بتنديده يَزْعمُ ..
معازيلُ إلاَّ من المنعمات مشاغيلُ عن كل ما يُكْرِمُ

مظاهرُ ، ليس بِها ما يُخيف ولكنما خاف مَنْ يَظْلِمُ ..

(*) يقيم المسلمون في القدس كل عام في عيد الفصح موسماً يسمى (موسم النبي موسى) تحضره الجماهير من المدن والقرى المجاورة . وكانت الحكومة المنتدبة تحتاط لهذا الموسم وتحشد له قوى الأمن خشية وقوع اصطدام بين الجموع العربية واليهود .

يا حسرتا ..

يا حسرتا ، ماذا دهى أهل الحمى فالعيشُ ذلٌّ ، والمصير بَوار
أرأيتَ أيَّ كرامة كانت لهمْ واليوم كيف الى الاهانة صاروا
سَهُلَ الهوان على النفوس فلم يعد للجرح من ألمٍ ... وخفَّ العارُ
همدتْ عزائمُهم ، فلو شبَّت لظى لتثيرَها فيهم ، فليس تُثارُ
الظالمُ الباغي يسوس أُمورَهم واللصُّ والجاسوسُ والسمسارُ

يا من تعلّل بالسياسة ... ظنَّها لَطُفَتْ،ولاَنَ عصيُّها الجبَّارُ
ما لطفُها ؟ ما اللين ذاك ؟ وكلهم مستعمرون وكلُّه استعمارُ

زيادة الطين..! *

من كان ينكر نوحاً أو سفينَتَه ... فإن نوحاً بأمر الله قد عادا !!
حلّ الوبالُ « بعيبالٍ » فمالَ به ... يا هيبةَ الله إبراقاً و إرعادا (١)
في جارفٍ كعجيج البحر طاغيةٍ ... أمواجُـهُ تحمل الأسواقَ امدادا
ولا تزالُ من الزلزال باقيـةٌ ... تذكارُها يوقد الأكبادَ إيقادا (٢)

منذ احتللتم وشؤْمُ العيش يرهقنا ... فقراً وجوْراً و إتْعاساً و إفساداً
بفضلكم قد طغى طوفانُ «هجرتهم» ... وكان وعداً تلقَّـيناه إيعاداً (٣)
واليوم ، من شؤْمكم ، نُبلى بكارثةٍ ... هذا هو الطِّينُ والماءُ الذي زادا ..

(*) بمناسبة الطوفان الذي طغى على مدينة نابلس وضواحيها سنة ١٩٣٥ .
(١) تقع مدينة نابلس بين جبلين: عيبال في الجهة الشمالية وجرزيم في الجهة الجنوبية.
(٢) هو الزلزال الذي وقع سنة ١٩٢٧ . وقد خسرت فيه نابلس الكثير من الأرواح والأموال .
(٣) اشارة الى الهجرة اليهودية الى فلسطين وإلى وعد بلفور .

نِعمَــة ..!

يقولون في بيروت : أنتم بنعمةٍ تبيعونهم تُرْباً ، فيعطونكم تبرا

شقيقتَنا مهلاً ! متى كان نعمةً هلاكُ أُلوف الناس في واحدٍ أثرى

وباذلُ هــذا المال يعلم أنّــه يسلِّـم باليمنى الى يده اليسرى

على أنها أوطاننا .. ما كنوزُهم ؟ وأموالُـهم ؟ حتى تُساوَى بها قَدْرا

ولو كان قومي أهلَ بأسٍ ونخوةٍ إذنْ أصبحتْ للطامعين بها قبرا

ولـكنهم قد آثروا السهلَ مركباً تسـيِّره الأهواءُ واجتنبوا الوعرا

ومــا حسرتي إلاّ على متعفِّـف يقومُ (لوجه الله) بالنهضة الكبرى

(*) كان اليهود الصهاينة يشترون الأراضي في فلسطين بأسعار عاليـــة . دون ان يفطن العرب في فلسطين وفي الأقطار المجاورة الى أنهم إنما كانوا يبيعون وطناً لا أرضاً . وكان في بيروت من يحسد أهل فلسطين على ذلك الثراء الزائف .

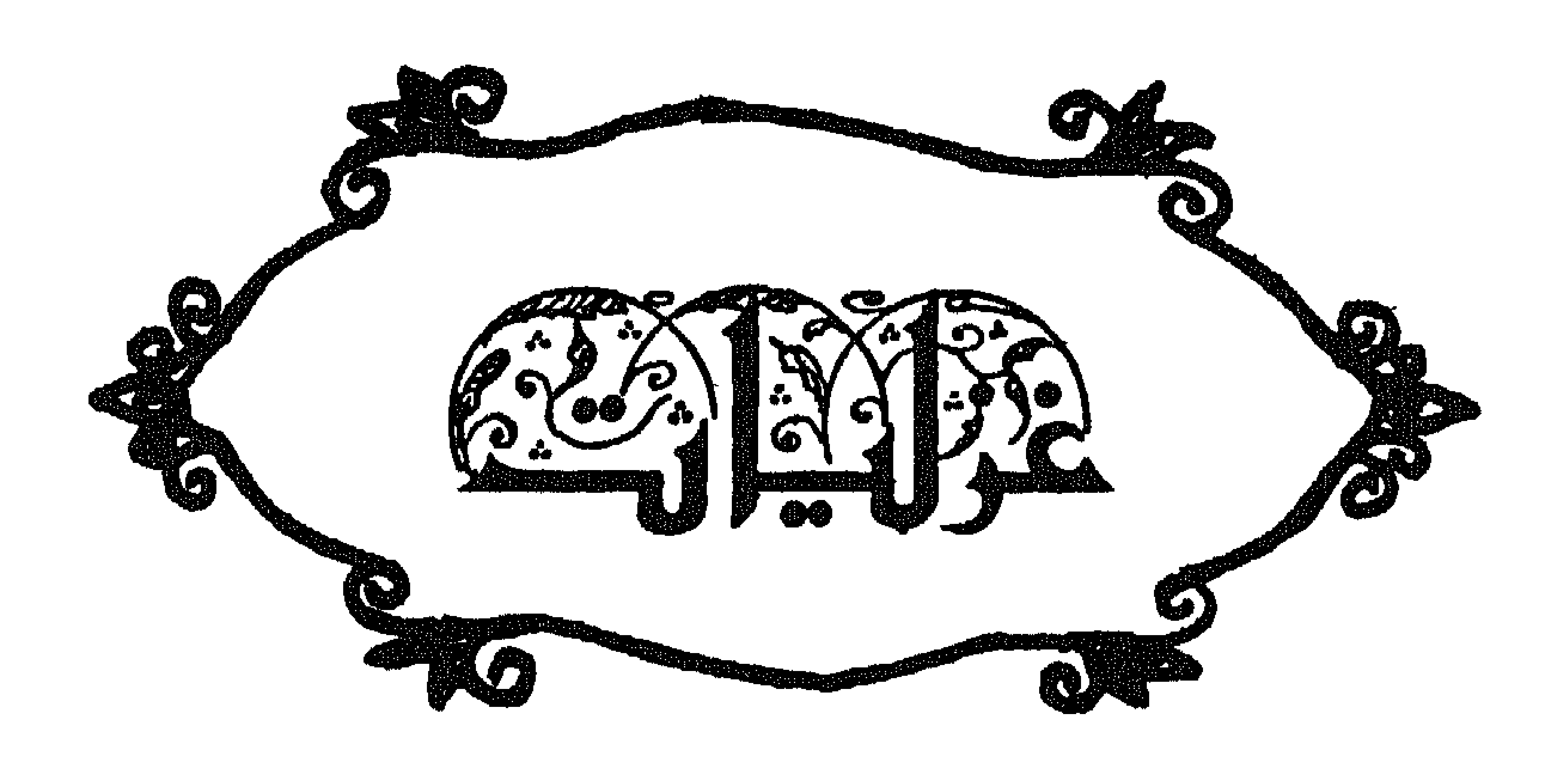
مَناهج..!

أمامَـك أيُّهـا العربيُّ يومٌ — تشيبُ لهولِهِ ســودُ النواصي
وأنت ، كما عهدتك ، لا تبالي — بغير مظاهِرِ العَبَثِ الرّخاصِ
مصيرك بات يَلْمُسُه الأداني — وسـار حديثُـهُ بين الأقاصي
فلا رَحْـبُ القصور غداً بباقٍ — لساكنها ولا ضيق الخصاصِ (١)

لنا خصمان : ذو حوْلٍ وطوْلٍ — وآخر ذو احتيالٍ واقتناصٍ (٢)
تواصـوْا بينهم فأتى وبالاً — وإذلالاً لنـا ذاك التواصي
منـاهجُ للابادة واضحـاتٌ — وبالحسنى تنفَّذُ والرصاصِ

---

(١) لا حاجة الى القول أن ذلك كله قد تحقق ويا للعار !.
(٢) الدولة البريطانية المنتدبة والصهيونية هما الخصمان .


غزليات

عند شبّاكي

بُكوري عند شباكي   لِأنْشق طيبَ ريّاكِ
ولا سلوى سوى نجوى   أسرُّ بها لمغناكِ
أُسرِّحُ نحوه طرفاً   أُمنّيه بمرآكِ
وطرفاً في قرار (الدّار)   موعوداً بلقياكِ
تمرُّ عليَّ ساعاتٌ   أُشيِّعها بذكراكِ
وأخشى أن يرفَّ الجفنُ   يحرمني محيّاكِ

*

طلعتِ ، فما لقلبي شاءَ يفضحُني فَسَمّاكِ !
صباحَ النورِ ! من دنفٍ   تنهَّد ، ثمَّ حيَّاكِ ..
سلامَ الرُّوحِ والريحان ، أنتِ نعيمُ دنياكِ
مررتِ ، وقيلَ مرَّ الناسُ ؛ هل أبصرتُ إلاَّكِ ؟!

*

وداعاً يا معذبتي   وعينُ اللهِ ترعاكِ

وداعَ سُوَيْعةٍ تمضي على جمرٍ وأقـالكِ
وأنسى ليلةً سَلَفَتْ وطرفي ساهرٌ بـالكِ
ومضجعَ أضلعٍ مُنِيَتْ بنيرانٍ وأشـواكِ

*

شكرتُ اللهَ أنّ (الدّار) تجمعني وإيَّاكِ
وتُلْقينَ السُّؤالَ عليَّ في أمْرٍ تَعَدّاكِ ..
وحين أُجيبُ تمنحني اُبتسامَ الشكرِ عيناكِ

*

هجرتُ (الدَّارَ) أضربُ في فضاءِ اللهِ لولاكِ
ولولا رحمةُ العينيْنِ قلباً باتَ يهواكِ
وعطفٌ من لدنكِ على أسىً في النفسِ فتّاكِ
إذنْ لَرَأيْتِني يوماً صريعاً تحتَ شباكي

في المكتبة

وغريرةٍ في المكتبَهْ بجمالِها متنقِّبَهْ
أبصرتُها عند الصباحِ الغضِّ تشبه كوْكَبَهْ
جلستْ لتقرأ أو لتكتبَ ما المعلمُ رتَّبَهْ
فدنوْتُ أسترِقُ الخطى حتّى جلستُ بِقربَهْ
وحبستُ، حتى لا أرى، أنفاسيَ المتلهّبهْ
ونهيتُ قلبي عن خفوقٍ فاضحٍ، فتجنَّبهْ

*

راقبتُها، فشهدتُ أنَّ اللهَ أجزلَ في الهِبَهْ
حملَ الثّرى منها على نورِ اليديْن وقلَّبَهْ
وسقاه في الفردوس مَخْتومَ الرحيق وركّبَهْ
فإذا بها مَلَكٌ تنزّل للقلوبِ المتعَبَهْ
يا ليتَ حظَّ كتابِها لضلوعيَ المتعذِّبَهْ
حَضَنَتْهُ تقرأ ما حوى وحَنَتْ عليه وما انتبَهْ

فـإذا انتهى وجـهٌ ونال ذكـاؤها ما استوعبَـهْ
سمَحتْ لِأُنْمُلِها الجميلِ بِريقِها كيْ تَقْلِبَهْ

*

وسمعتُ وهْيَ تُغَمْغِمُ الكلماتِ نَجْوى مُطْرِبَهْ
ورأيتُ في ألفمِ بِدْعَةً خـلاَّبـةً مستَعْذبهْ ..
احدى الثنايا النـيِّراتِ بَدَتْ ، وليس لها شَبَهْ
مثلومـةً مـن طرفِـها لا تَحْسَبَنْها مَثْلَبَهْ ..
هيَ ، لو علمتَ ، من المحاسنِ عند أرفع مرتبهْ
هيَ مصْدَرُ (السِّيناتِ) تُكْسِبُها صدىً ما أعذبهْ

*

وَأمَا وَقلبٍ قد رأتْ في السَّاجدين تَقَلُّبَهْ
صَلَّى لجبّارِ الجمالِ ، ولا يزالُ مُعَذِّبَـهْ
خَفَقانُـه متواصـلٌ والليلُ ينشرُ غيْهبَـهْ
متعـذِّبٌ بنهـارِهِ حتى يزورَ المكتبهْ ..
وَأمَا وعينِكِ والقُوى السِّحريَّةِ المتحجِّـبهْ
ما رُمْتُ أكثرَ من حديثٍ ، طِيبُ ثغرِكِ طَيَّبَهْ
وأرُومُ سِنَّكِ ضاحكاً حتّى يلوحَ وأرْقُبَهْ

مَعِينُ الجَمَال

أسعديني بزورةٍ أو عِديني طال عهدي بلوعتي وحنيني
أدّعي الهجرَ كاذباً وغرامي في قرارٍ من الفؤاد مَكينِ
غِيضَ دمعي وكان رِيّاً لروحي من غليل الأسى فمَنْ يرويني
يا مَعينَ الجمال أذبلتِ قلبي أنعشيني بنهلةٍ أنعشيني
يا مَعينَ الجمال ، قطرةَ ماءٍ أو أفيضي ابتسامةً تُحييني

ضجعتي في الرياضِ بين الرياحين قريباً من ماءِ عَيْنٍ مَعينِ
فتناولتُ أقْحواناً نديّاً ونداهُ كاللؤلؤِ المكنونِ
ونَزَعتُ الأوراقَ عنها تِباعاً أتحرّى شكّي بها ويقيني
فإذا وافقتْ مُناي تفاءَلْتُ ، وإلاَّ كذّبتُ فيها ظنوني
ذاك لهوٌ فيه العزاءُ لنفسي فاضحكي من تعلّلي وجنوني

طُفْتُ بين الأزهار ، والنَّشْرُ من نَشْرِكِ فيها ودِقَّةُ التكوينِ
قطرات الندى عليها دموعي أنتِ أدْرى مِنّي بما يُبكيني
أنْتقي طاقةً وذوقُك يَهديني الى الرائعاتِ في التّلوينِ

يا حيـاةَ القلوبِ ويْلي عليها ذَبُـلَتْ من بقائها في يميـني
فخذيهـا عسى تُرَدُّ اليها الروحُ ، إِني أخـاف مرأى المنونِ

ما أشَـدَّ الهوى ، وما أطولَ الليلَ ، وما أبعدَ الـكرى عن جفوني
رُبَّ ذكرى ــ وما هجعتُ ــ أستحالتْ
لخيـالٍ سَرَى فَـأذْكى شـجوني
ضمَّني ، ثمَّ ردَّني وتلاشـى في ألدَّياجي كما تلاشى أنيـني
راعـني أمرُه فنبَّهتُ مَنْ حَوْليَ ذُعْراً بصرخةٍ في السُّـكونِ
سألوني فـلم أُجِبْ ، بل تناوَمْتُ ، فناموا وللأسى خلَّـفوني

مرحبـاً بالحيـاةِ عـادَ صداها وأنجلى الليلُ عن صباحٍ مُبينِ
سُـفَراءُ الصباحِ نورٌ وطـيرٌ تتغـنَّى في مائسات الغصـونِ
ونسيمٌ يُداعبُ الدَّوْحَ ، والبحر شجيٌّ الغنـاءِ عَذْبُ المجونِ
وجلالُ الوِدْيان مِلْءُ الحنايا وجمالُ الجبـالِ مِلْءُ العيونِ
في اخضرارٍ كأنه أمَـلي فيك ، وثلـجٍ نقـاؤهُ كالجبـينِ

إنَّما هـذه الطبيعـةُ أُنسي ومُـعيني إنْ لم أجدْ من مُعينِ
أتَـقَرَّى جمـالَ ذاتكِ في ما أبْدَعَـتْهُ يَمينُـها من فنونِ
في الغدير الصَّـافي ، وأُنشودة الطير ، وطيب الورود والياسَـمينِ
غيرَ أني ما ازدَدْتُ إلاَّ حنيناً أسـعديني بزوْرةٍ أو عِديني

حَمَلتني نحو الحمى أشجاني

نَبَّهتْني صوادحُ الأطيارِ
تتَغنَّى على ذُرى الأشجارِ
وتجلَّتْ مليكةُ الأنوارِ

فوقَ عرشِ الصَّباحِ ترشُفُ طلاًّ   من ثُغورِ الأقاحِ علاًّ ونهْلا
فتمنَّيْتُ لوْ شقيقةُ روحي   باكرَتْني إلى جَنَى الأزهارِ

*

أنا في روضةٍ أباحَتْ جَناها
كلَّ ذي صَبْوةٍ كئيبٍ أتاها
ها هُنا وردةٌ يفوحُ شَذاها

ها هنا نرجسٌ يُحيّي الأقاحا   والدَّوالي تُعانقُ التُّفَّاحا
بادِري نَسْتَبِقْ معاً وارِفَ الظّلِّ ونَقْضي النَّهارَ بعدَ النَّهارِ

*

ضَحِكَ الرَّوْضُ حينَ فاضتْ عُيونُهْ

وترامى فـوقَ الـثّرى ياسَـمينُـهْ

هامَ صَـفْصَافُـهُ فناحَتْ غُصونُهْ

فسَـواءٌ هُيامُـهُ وهُيَـامي غـيرَ أنّي أبكي على أيّـامي

فَـجَعَـتْني بِكِ النّـوى حين شبَّتْ لَـوعَـةٌ في الضُّلوعِ ذاتُ أُوارِ

*

مَرَّ عامٌ أُخْفي عن ٱلنّاسِ ما بي

مِنْ حَنـينٍ مُـبَرِّحٍ وعـذابِ

ولقدْ يَسْألونَ فيمَ اكتئابي

ويْحهم كيفَ يُبصِرون دموعي ثمَّ لا يُدركونَ ما بضلوعي

ولقـد يكتمُ المحبُّ هواهُ فتبوحُ الدُّمـوعُ بالأسْرارِ

*

ذاكرٌ أنتَ عهـدَنا يا غـديرُ

يومَ كنَّـا والعيشُ غَـضٌّ نضـيرُ

وعلى ضفّتيْـكَ كنّـا نسيرُ

فرويْتَ الحديثَ عنّـا شُجونا وأخـذنا عليكَ ألاّ تخونا

فأعِـدْ لي ذاكَ الحـديثَ فإني أذْهلتْـني النّـوى عن ٱلتّـذْكارِ

*

ذاكِرٌ أنتَ والأزاهيرُ تَنْدَى
كَمْ نَظَمْنا مِنْهنَّ للجيدِ عِقْدا
فإذا هبَّت الصَّبا فاح نَدًّا
وانقضى اللَّهوُ مُؤْذِنًا بالفراقِ فَذَوى العِقْدُ مِن طويلِ العناقِ
لمْ يزلْ خيْطُهُ يلوحُ وجسمي يَتَوارى سُقْماً عن الأبْصارِ

*

يا ابْنةَ الأيْكِ غَرِّدي أوْ فَنوحي
فعسى يَلأَمُ الهَديلُ جروحي
نَفَدَ الصَّبرُ عنْ شقيقةِ رُوحي
فاحملي هذه الرِّسالةَ عنّي وأسْجعي إنْ أتيتِها فوْق غُصنِ
فهْيَ عند الأصيل تصغي إلى الطَّيْر عساها تروح بالأخبارِ

*

حَمَلَتْني نحو الحمى أشجاني
فتهيَّبتُ من جلال المكانِ
وإذا فوق مقلتيَّ يدانِ
فتلمّستُ نضْرةً ونعيما وتعرَّفْتُ ما لَثَمْتُ قديما
قلتُ يا مرحباً، وقبَّلْتُ كفّاً أنزلتني ضيفاً بأكْرمِ دارِ

*

خطَراتُ النَّسيمِ في واديكِ
صَبَّحتْني بقبلةٍ مِنْ فِيكِ
ثمَّ عادتْ بقبلةٍ تشفيكِ

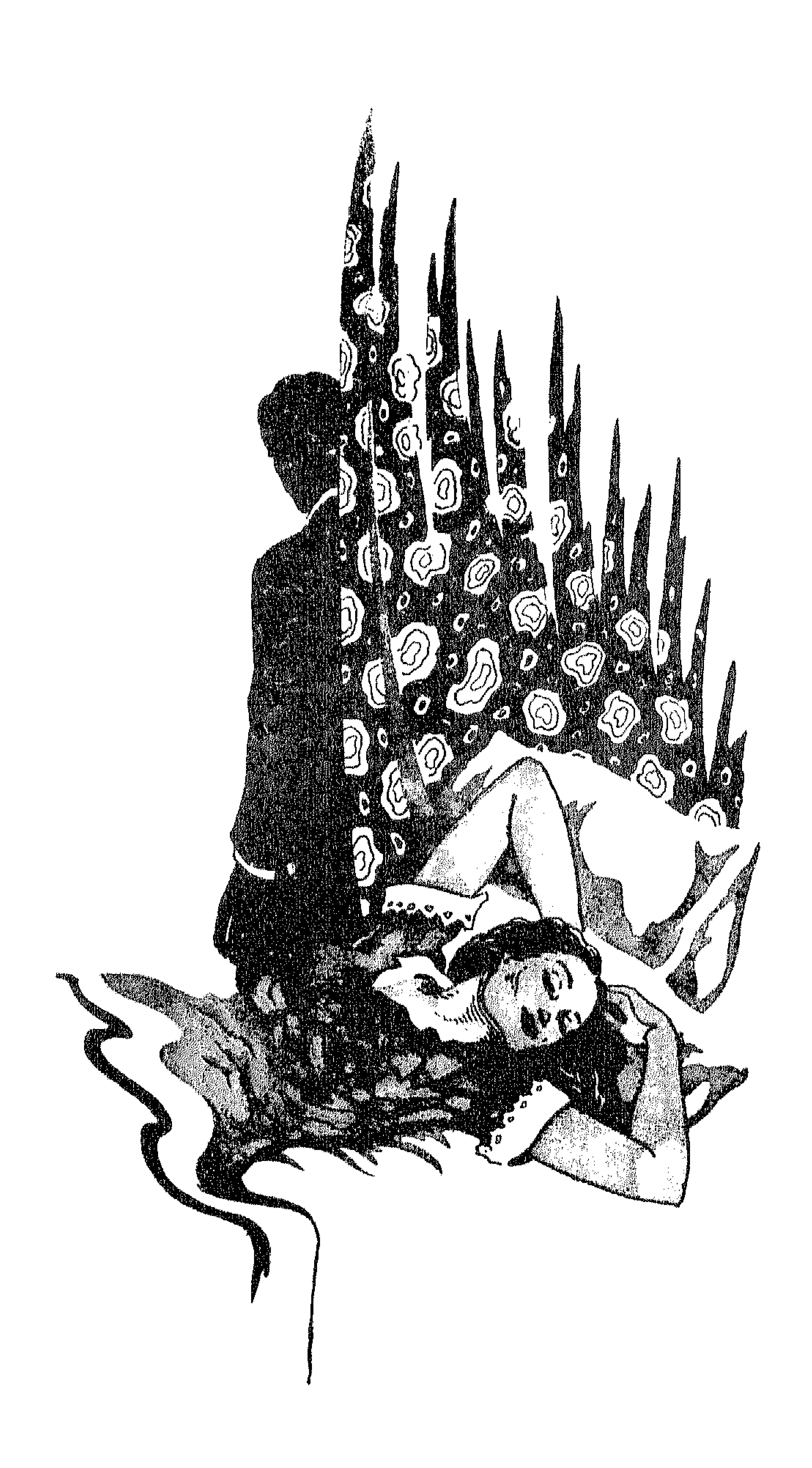
فسلاماً يا واديَ الرُّمَّانِ فُزْتُ بالرُّوح منكَ والرَّيْحانِ
واحنيني إلى ديارِكَ والرُّمَّانُ دانٍ يُظِلُّ أهلَ الدّيارِ

حيرة

وقد رآها مستلقية نائمة

ما كنتُ أرغبُ ان أُسمَّى قاسياً　　فأُنفِّرَ الأحلامَ من عينيْها
والشوقُ يدفعني الى إيقاظها　　ويدي تُحاذرُ أن تُمَدَّ اليْها
وكأنما شَعَرَ الرقادُ بنعمةٍ　　فأقام غيرَ مفارقٍ جفنيْها
ويلٌ لقلبي كيف لم يَفْتِكْ به　　مرأى تقلُّبِها على جنبيْها
وتنهَّدتْ مما تكنُّ ضلوعُها　　يا شوقُ ويحكَ لا تَرُعْ نهديْها
حَسْبي جوىً أنّي نظرتُ لشعرها　　ينكبُّ مرتشفاً ندى خدّيْها
وأغارُ منه اذا اطمأنَّ بها الكرى　　ويُثيرُني متوسّداً زَنْدَيْها

ارنو بلهفة عاشقٍ لم يبقَ من　　صبر لديَّ ، وقد حنوت عليْها
فيصدُّني أدبي فأُبعدُ هيبةً　　وأودُّ لو أجثو على قدَمَيْها
فالنَّفسُ بيْن تهيُّبٍ ممَّا ترى　　وتلهّبٍ ، فاحْترتُ في أمريْها
ولعلَّ اشواقي بَلَغْنَ بيَ المدى　　فوقعتُ لا أصحو على شفتيْها



في دَيْرِ قدِّيس

لم ألْقَ بيْنَ لياليَّ التي سَلَفتْ
كليْلَةٍ بِتُّها في ديْرِ قدّيسِ

ضَمَمْتُ حسناءَ لم يُخْلَقْ لها مَثَلٌ
بيْنَ الحسان ولا حورِ الفراديسِ

ما عرشُ بلقيس في إبّان دولتها
ولا سليمانُ مزفوفاً لبلقيسِ

يوْماً بأعظم منّا في السّرير وقد
دام العناقُ إلى قرع النّواقيسِ

خطرة في الهوى

أعيدي الى المضنى وإنْ بَعُدَ المدى
بُلَهْنِيَةَ العيشِ الذي كان أرْغدا
تبارك هذا الوجهُ ما أوْضَحَ السَّنى
ومـــا أطيبَ المفْتَرَّ والمتورّدا
فقدتكِ فِقْدانَ الصِّبا وهل امرؤٌ
تولّى صِبـــاه اليومَ يرجعه غدا
فقدتك لكنّي فقدتُ ثلاثـــةً
سواكِ : فؤادي ، والامانيَّ ، والهدى
وأبقيتِ لي غيرَ القنوط ثلاثـةً :
هواكِ ، وسقمي ، والحنينَ المؤبّدا

أيا (وادي الرمان) ! لا طِبْتَ وادياً
اذا هي لم تنعم بظلِّـك سرمدا

ويا (وادي الرمان) ! لا ساغ طعمُهُ
اذا انا لم أمْدُدْ لذاك الجنى يدا

ويا (وادي الرمان) ! واهاً !! وعندهم
حرامٌ على المحزون أنْ يتنهّدا

كأنيَ لم انزلْ ديارَكَ مرةً
ولم ألْقَ في اهليك حباً ولا ندى

ولم تَسْقني كأسَ المدام حبيبةٌ
وردتُ ثناياها مع الكأسِ موردا

ولم تُوحِ لي شعراً ولا قمتُ منشداً
ولم يَرْوِ شعري عندليبُكَ منشدا

اخي وحبيبي كنتُ أرجوكَ مسعداً
يسامحُك الرحمن لم تَكُ مسعدا (١)

ألم ترني في مصر أطلب شافياً
وراءك إشفائي على هوّة الرّدى

---

(١) عتاب الى اخيه (احمد) وكان ذلك يوم قدوم ابراهيم الى القاهرة للمعالجة والاستشفاء في شهر آب ١٩٢٩ .

ألم ترني في مضجعي متقلّبــاً
أُقَلِّبُ في الافلاك طرفاً مُسَهَّدا

ومن عجبٍ أنّا شبيهـان في الهوى
بِمَنْ انت تهوى، هل أطَقْتَ تجلّدا؟!



فرحتي..!

فرحـــتي يوم أراها   جنّـــتي نارُ هواها

جنَّـــةُ الحسن لديْـها   طيبُـها وقْـفٌ عليْـها
وردُهـــا في وجنتيْـها   ثَـمِـلٌ من مقلتيْـها
هي ريحانـــة قلـــبي
ليتهـــــا كانت بقربي
فرحـــتي يوم أراها   جنّـــتي نـــارُ هواها
ونعيـــــمي في شـــقائي

كان لي في الحبِّ عهدُ   رُبَّ ماضٍ لا يُردُّ
فالتقى خــدٌّ وخــدٌّ   والتقى دمعٌ وشهدُ
جفَّ ، يا أيّـــام ، دمعي
ضـــاق بالآلام ذرعي

فرحـــتي يوم أراها جنَّـتي نـارُ هواها
ونعيـــمي في شـقائي

بلبلٌ فوق الغصونِ سـاحرٌ جمُّ الفنونِ
يا أخا الصوت الحنونِ لستَ تدري ما شجوني
تتسـلَّى ، تتَفَـلَّى
وتراني ، أتقَـلَّى
فرحتي يوم اراهـا جنتي نار هواهـا
ونعيمي في شقـائي

سمع البلبلُ شجوي باكياً أيّامَ لَهْوي
فهفـا البلبل نحـوي هاتفاً : أصغِ لشدوي
قلتُ يا بلبل دَعْـني
عُـدْ الى الدَّوحِ وغنِّ
فرحتي يوم اراهـا جنّتي نار هواهـا
ونعيمي في شقـائي

نُحْ معي فالنوْحُ أوْلى بَعْدَ مَنْ أهوى وأحلى
طَرِبَ القلبُ وملاَّ ايُّهـا البلبلُ هَلاَّ

بجناحيـــكَ انقلبتـــا
وبمن أهوى رجعتـــا
فرحتي يوم اراهـا جنّـتي نار هواهـا
ونعيمي في شقـــائي

الهوى أبلى شبـابي جاءَني من كلّ بابٍ
مِن صدودٍ لعتـابٍ من عذابٍ لعذابِ
كلٌّ هذا لا يطـــاقُ
ثمَّ لا يحـــلو الفراقُ
فرحتي يوم اراهـا جنّـتي نار هواهـا
ونعيمي في شقـــائي

عيشُنا ركضٌ بركضٍ بعضُنا في إثْـر بعضٍ
والصِّبا يومٌ ويمضي ليتَـه يمضي ويُرْضي
يا فؤادي مـا بكائي ؟
أترى يُجدي نـــدائي
فرحتي يوم اراهـــا جنّـتي نار هواهـــا
ونعيمي في شقـــائي

هواكِ جبّار

هواكِ جبّارْ على القلب جارْ
أمانْ !! أمان !!
مِنْ زفرةِ الليلِ وغمِّ النَّهارْ
أمانْ !

يا أملي يا نورَ مستقبلي أوقعني صمتُكِ في مُشكِلِ
ما خبَّأ الدهرُ بعينيكِ لي ؟
هل ابتسامٌ فيهما أم دموعْ ؟ تُذيبُ قلبي كمداً في الضلوعْ
يا ليتَ مكنونهما ينجلي

سهادُ لا يَهْدأُ هذا الفؤادْ ولنْ يذوقَ الجفنُ حُلْوَ الرقادْ
ما لمْ تصافيني الهوى يا سعادْ
لو كان حظّي منكِ أنْ تعلمي ما تصنعُ الأشواقُ بالمغرمِ
لرقَّ لي قلبُكِ والدَّمعُ جادْ

أبصرتُ في جُنْحِ الدُّجى طائِفا   كلمْحةِ البرقِ سرى خاطفا
ثم دنا يصعقُني هاتفا :

« سعاد ، لم تخطرْ على بالِها   ولم تكنْ موضعَ آمالِها ... »
ثم تولَّى يسبقُ العاصفا

أصبحتُ لا يَشْفي غليلي ابتسامْ   ولا انحناءُ الرأسِ عند السلامْ
أولى بنا لو نتشاكى الغرامْ

يا حبَّذا لُقيا على موعدِ   وحبَّذا أخْذُ يدٍ في يدِ
حتَّى يقول الناسُ هامتْ وهامْ !

ماذا أصاب الروْضَ حتى ذَوَى   والهفا ؛ والغصْنَ حتى التوى
وأيُّ بُرْدٍ للربيعِ انطوى

الروضُ يُملي يا سعادُ العِبَرْ   في زَهَرٍ مثلِ الأماني انْتَثرْ
يا روضةَ الحسنِ حَذارِ الهوى :

هواكِ جبَّارْ   على القلب جارْ
أمانْ !! أمانْ !!

من زفرةِ اللَّـيل وغمِّ النَّـهـــارْ
أمانْ !



أعجبُ الهوى

تعلَّقها قلبي ولم أَدْرِ ما اسْمُها
وفي عينها ما بي وما سمعتْ باسمي

وما كان الاّ في الطريقِ لقاؤُنا
ولحظٌ ـ كباقي الناس ـ يرْمي ولا يُصمي

أَما عجبٌ ـ والأرضُ مَلأى بمثلها ـ
هُيامي بها دونَ الحسانِ على رغمي ؟

وما بالُها لم تحمل الوجْدَ والهوى
لغيري ، لهُ روحي ولمْ يعدُهُ جسمي

أراها فلم أملِكْ تَهالُكَ واهنٍ
بجنبيَّ مسلوبِ الجراءَةِ والعزمِ

فيخطفُ لوْني فرطُ ما أنا واجدٌ
بها وبما يُلقي هواها على وهْمي

يُخَيَّلُ لي أنِّي دَنَوْتُ فأعرضتْ
فأصرِفُ وجْهي مُثْقَلَ الصَّدْرِ بالغمِّ
ظَنَنْتُ بها سوءاً ولم تجْنِ بعد ما
يُظَنُّ بهِ ، ما أشبهَ الظَّنَّ بالأثمِ
ويُعرِبُ عن سِرِّ الضُّلوعِ شحوبُها
إذا ما تلاقيْنا ، فبئْسَ إذنْ زَعْمي
وأُقسِمُ لو حدَّثتُها وتكشَّفتْ
سرائِرُنا ما شَذَّ عنْ همِّها همِّي
هوىً ألَّفَتْ شتَّى القلوبِ يمينُه
وكمْ قَطَعَتْ يُسراهُ مِنْ صِلَةِ الرَّحْمِ
اذا كانَ في دنيا الهوى مِثْلَما أرى
فأيُّ عجيبٍ في هوى العُمْيِ والصُّمِّ

اشربي

اشربي انت وحسبي نشوةً من مقلتيْكِ
اشربي انت وحسبي نظرةً في وجنتيْكِ
اشربي انت وحسبي نهلةً من شفتيْكِ
اشربي انت ومالي وحياتي في يديْكِ

نقل الكأسُ حديثاً عن ثناياكِ العذابْ
أنّه لولا شذاها لم يكنْ لذَّ وطابْ
لم يكن يُسكِرُ لولا أنه مسَّ الرُّضابْ
اشربي انتِ ، وحدّث انتَ عنها يا شرابْ

أنشديني ، أطربيني بهوى الاندلسِ
أرسلي اللحنَ شجيّاً كالصَّبا في الغَلَسِ

هو يا روحي لروحي كالنَّـدى للنَّرجسِ
إنَّ أنفاسَكِ فيـه لَحَيـاةُ الأنفسِ



عاشق كلانا بالمنى *

كانَ هزاراً طَرِباً بالحسن مفتــنَّا
فابتسمَ الحبُّ لَــهُ فأحسن الظَّــنَّا
ثمَّ رمــــاه بالتي تبـــدِّلُ اللحنا
باتَ يهـــيمُ نائحاً وطالمـا غـــنَّى

حُكْـمٌ به الحبُّ قضى ما أظْلَمَ القاضي
حَسْبُك أن ترضى به فإنـــني راضِ
دعْـكَ من الماضي فلو عدتَ الى الماضي
وجدتَ وصلَ ساعةٍ ودهرَ إعراضِ

صحَّ الذي جرَّبْـتُهُ عند (أبي سلمى)

(*) موجهة الى الاستاذ الشاعر عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) ، صديق المرحوم ابراهيم .

الحبُّ يقتادُ الفـتى وقلبُـهُ أعمى
يسمو بـه حتى إذا بَوَّأهُ النجما
رمى بـه من حالقٍ يَحْطِمُهُ حَطْما

عاش كلانا بالمـنى نُرسلُها شعرا
تلكَ رُفاةٌ بَلِيَتْ تبعثُها الذكرى
نصوغُها ابتسامـةً أو دمعةً تُذْرى
نَشْقى به حتى تحينَ الراحةُ الكبرى !

ذكرى عشيّة زهراء

هل (كَفْرَ كَنَّه) مُرْجعٌ لي ذِكرُها

ما فاتني من عنفوانِ شبابي ؟!.

أمْ في صَباياها وفي رمّانِها ما يبعثُ المدفونَ من آرابي..

لو تنفعُ الذكرى ذكرتُ عشيَّةً زهراءَ بيْن كواعبٍ أترابِ

فيهنّ آسرةُ القلوب بحسنها ودلالِها وحديثِها الخلاّبِ

روحٌ أخفُّ من النَّسيم وخاطرٌ كالبرقِ مقرونٌ بحسنِ جوابِ..

غرٌّ ثناياها وأشهد أنَّها ممزوجةٌ رَشَفَاتُها بشرابِ

نُلقي أحاجيَ بيننا فتثيرُنا للضّحكِ خاطئةٌ وذاتُ صوابِ

ونردّد الألحانَ ، بينَ شجيَّةٍ تُمري مدامعَنا ، وبيْن عِذابِ

ولقد نُعرّضُ باللّقاءِ لموعدٍ فيها، ونُسْلكُها طريقَ عِتابِ

قمنا وقد سقط النَّدى وتزاحفتْ سُجُفُ الغمام ثقيلةَ الأهدابِ

تُخفي محيَّا البدر ثمَّ تُبينُه

عبثَ المليحة دوننا بنقابِ...

وَجَـفَتْ مضاجِعَـها الجنوبُ وملؤُها
خفقانُ مضطَـرِمِ الهوى وثّـــابِ
بتنـا على صَفْـوٍ وخـوفِ تفرّقٍ
للعـاشقين مُهَــيّءِ الأسبـــابِ

(نيسانُ) هان عليَّ حكمُكَ بالنّـوى
لمـا تحطّمت المنى في (آبِ . . .)
يا ليتَ من فَجَـعَتْ فؤادي بالمنى
لم تُبقِ لي ذكـرى تُطيلُ عذابي

رمّان الكفركنّا

جزتُ بالحـــيِّ في العشيِّ فهبَّتْ
نفحــةٌ أنعشتْ فؤادي المُـعَــنَّى

قلتُ : مِــنْها ، ودُرْتُ أنظرُ حوْلي
نظراتِ الملهوفِ يُسرى ويُمــنى

وإِذا طيّــبٌ جَــنيٌّ من الرُّمـّـ
ـانِ مثل النُّهودِ لو هي تُجنى

وافقتْ نظرتي نــداءَ غــلامٍ :
(ناصري يا رمان !) من (كَـفْرَ كنَّـا)

قلتُ أسرعْ بــه فدىً لَكَ مالي
وترنَّمْ بذكــره وتغــنَّ .

يا رسولَ الحبيبِ من حيثُ لم تد
رِ لقــد جئْتني بمــا أتمــنَّى

غادة اشبيلية

الى فنانة اسبانية تعرف اليها في بيروت.

افدي بروحي غيدَ اشبيــلهْ   وإنْ أذقْـنَ القلبَ صابَ العذابْ

*

عَلِـقْـتُ منهنَّ بِتِرْبِ النَّهـارْ
وجْهاً ، وصِنْوِ اللَّيْلِ فرعاً وعَيْـنْ
في مثلِهــا يخلعُ مثلي العِـذارْ
ولا يبالي كيف أمسى ، وأيْنْ
أشربُ مِن فيهـا وكأس العُـقارْ
معاً ، فكيف الصَّحْوُ من سكرتينْ
لَهْفي عليهــا يومَ شطَّ المـزارْ
وساقَهـا البيْنُ الى (النَّيْرَبَينْ)

ودَّعتُها ، ومهجتي مُشْفِـيَهْ   لم يَشْفني رشفُ الثَّنايا العِـذابْ

وَوَدَّعَتْ بالنظرةِ المُغْرِيَهْ تصحبُ لُبّي معها في الرِّكابْ

*

يا أعْصُرَ الأنْدَلسِ الخالياتْ
قد فازَ مَنْ عاش بتلكِ الربوعْ
أهكذا كانت هناك الحياةْ
مُتْرَفَةَ الأيّام ، ملءَ الضلوع
أهكذا الفتنةُ في الغانياتْ
ونشوةُ الوصْلِ ، وحَرُّ الولوعْ . .
لَئِنْ مضى عهدُ ذوينا وفاتْ
ولم يَعُدْ من أملٍ في الرجوعْ

فذمّتي بعهدِهِمْ موفِيَهْ أرُدُّ ماضيهِمْ ببذْلِ الشّباب
انا (أبْنُ زَيْدونَ) وتصبو لِيَهْ (ولاّدةٌ) في دِمها والاهابْ . .

أوّلُ عهدي بفنونِ الهوى . . بيروتُ ؛ أنْعِمْ بالهوى الأولِ . .
وقيل هل يَرْشُدُ قابٌ غوى والرشدُ غيٌّ في الصِّبا المقبلِ
مَدَدْتُ ـ لما قلتُ قلبي ارتوى ـ يدي ، فردَّتْهُ عن المنهلِ
بيروتُ ، لوِ شئتُ دفعتُ النوى طوْعاً ، ولم اهجركِ ، فالويل لي

في ذِمَّـةِ اللهِ مُنىً مودِيَـهْ   باسقةٌ خضراءُ ، لُدْنٌ رطابْ
لعلَّ في أختـك يا سـوريَـهْ   حسنَ عزاءٍ عن جليلِ المصابْ

*

يَـلَذُّ لي يا عينُ أن تسهدي   وتَـشتري الصَّـفْوَ بطيب الـكرى
لي رَقْـدةٌ طويـلةٌ في غـدِ   لِلّهِ مـا أعمقَـها في الـثرى
ألم تَرَيْ طيرَ الصِّبـا في يدي   أخشى مع الغفلةِ أنْ ينفِـرا
طـال جناحاه وقد يهتدي   إلى أعـالي دوحِـهِ مُبْـكِـرا

أرى الثّـلاثين ستعـدو بيَـهْ   مُغِـيرةٌ أفراسُـها في اْقترابْ
و بعـد عشرٍ يلْـتوي عوديَـهْ   و ينضَـبُ الزَّيتُ و يخبو الشهابْ(١)

لا بدَّ لي إنْ عِشْـتُ أن أعطِـفا   على ربى الأندلسِ النّـاصرهْ
وأجتلي أشباحَ عهـدِ الصَّـفا   راقصـةً ، فتَّـانـةً ، سـاحرهْ
هنـاك لا أملِـكُ أنْ أذرِفا   دمعي على أيَّـامِـنا الغـابرهْ
عسـاك يا دمـعَ محبٍّ وَفى   تَرُدُ جنَّـاتِ المـنى زاهرهْ

يومئـذٍ أُلقي على عوديَـــهْ   لحْـنَ الهوى أمْـزُجُـهُ بالعتابْ
أفـدي بروحي غيدَ أشبيليـــهْ   و إن أذقْـنَ القلبَ صابَ العذابْ

---

(١) ولكن توفاه الله قبل ان يتم الأربعين فقد قضى نحبه وهو في السادسة والثلاثين من عمره .

صورتها المكبرة

بَرَّحَ بي الشوقُ فلما طغى ... فزِعتُ للرسْمِ فكبَّرتُهُ
وما شفى داءً ، ولكنَّما ... قلبي شكا البعدَ فَعَلَّلْتُهُ
ولم أجِدْ في الرَّسمِ أخلاقَها ... جرَّبتُها حيناً وجربتُهُ
منتظري في غرفتي دهرَهُ ... جودُ بخيلٍ ما تعوَّدْتُهُ
ظلَّ وقد ناجيتُهُ باسماً ... ولم يمانِعْ حين قبَّلتُهُ
عَرَفْتُ للرَّسام إبْداعَهُ ... وعدتُ للرَّسمِ فأنكرتُهُ
قد فاته دَلٌّ تعرَّفْتُهُ ... فيها ، ومَطْلٌ كم تذوَّقتُهُ
لَوْ جاءَني الرسامُ بالمشتهى ... كفرتُ باللهِ واشركتُهُ

طيرُ الصِّبا

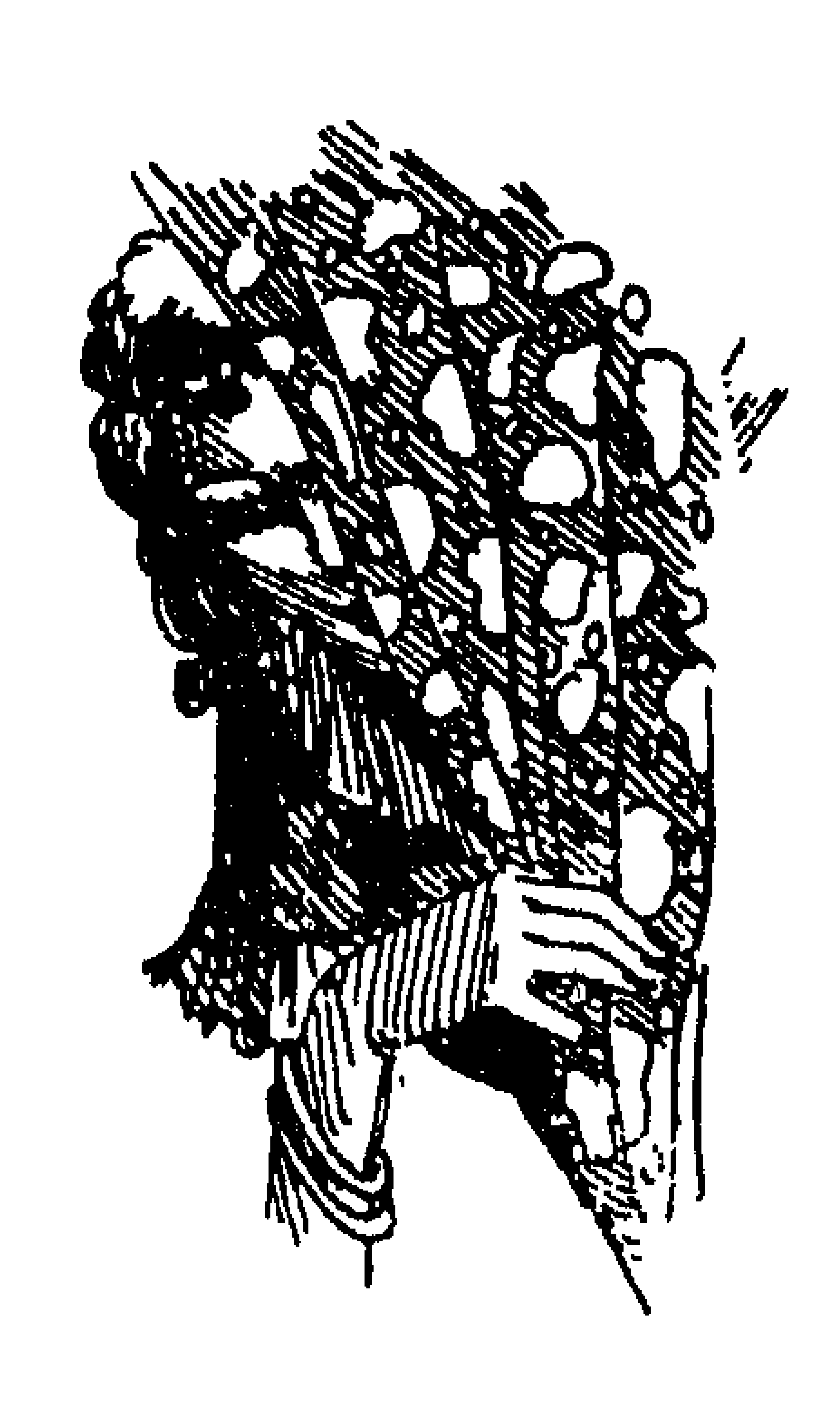
طيرُ الصِّــبا ولَّى وكان لي جــارْ
قلتُ لــه « هــلّا تعود للدّارْ ؟ »
فقال لي « كلاًّ .. كلاًّ !» وطارْ ..
أظنُّــه مَـــلَّا مــنِّي الجــوارْ

خلَّـفــني أبـــكي عهــدَ الهــوى
خُلعتُ مــن ملــكي عرشي هــوى
عــاش على الفتــك قلبٌ غــوى
واليومَ في ضَنْـكِ واهي القــوى

قال (أبو سلمى) زينُ أترابي :
« صِباك قد همَّــا .. خلِّ التصابي»..
فهــاج لي غمَّــا أقتلَ ممَّــا بي
قلتُ : « نعم حتما وشابأحبابي»..

الى ذات السوار

هبيني لا اسميكِ ولا اظهر حُبّيكِ
وتُلقى بيننا الحجب فأحيا لا ألاقيكِ
هبي ما شئتِ ؛ ان القلب ما انفكّ يناجيكِ
ويرتاح الى النجوى وفي النجوى يحييكِ
ويطغى الليلُ والشوقُ فيدعوكِ ويبكيكِ
ويستأنس بالصبح لِمَا يرويه عن فيكِ



الى الممرضة الروسيّة ..

يا حلوة العينين يا قاسيهْ   سرعان ما أصبحت لي ناسيهْ
أما أنا فلست أنسى يداً   ناعمةً تجود بالعافيهْ
لئن شفى الطب ضنىً عارضاً   فمهجتي أنت لها شافيهْ
وإبرة الآسي على نفعها   أفعل منها نظرةٌ ساجيهْ
تبعثها عيناكِ في أضلعي   فياضةً بعطفها ، آسيهْ
تلأم قلباً نَكَأَتْ جرحَه   فعاد يهوى مرة ثانيهْ
وتطفئ النار التي حرّكَتْ   فأرجعتها زفرةٌ حاميهْ

قيصرة الحسن الا اشتكي   إليك من جورك يا طاغيهْ
هل كان نسيانك لي هفوة   ام خطّة أشْراكُها خافيهْ
سيدتي ، ذنبك مهما يكن   تغفره أعذارك الواهيهْ ...

ناشدتك الاسلام

الى فوز ...

يا (فَوْزُ) ويْلي منكِ يا قاسيهْ ... عذَّبتِني ظُلماً، كفى ما بيهْ

أراكِ في اليوم ثلاثاً ولا ... أنالُ إلاَّ النَّظرةَ الجافيهْ

واللهِ لو تدرين ما قصتي ... ما كنتِ عن حالي إذنْ راضيه

بل كنت لي عوناً على غربتي ... وكنتِ لي راحةً آسيهْ

مرضْتِ أيّاماً ولمْ تطلُعي ... ظللتُ فيها مهجتي داميهْ

أسأل عنكِ النّاسَ مستخبراً ... ولهانَ أدعو لكِ بالعافيه

حتّى إذا أبْللتِ يا منيتي ... خفَّفَ عنّي اللهُ بلوائيهْ

بشراكَ يا قلبي فقد أصبحتْ ... تغدو الى مَلْعبِها ثانيهْ

مليكةٌ ما بين أترابها ... يا ليتني كنتُ مع الحاشيهْ

يا وردةً ترسلُ انوارَها ... فيْضاً على الكونْ من الرابيهْ

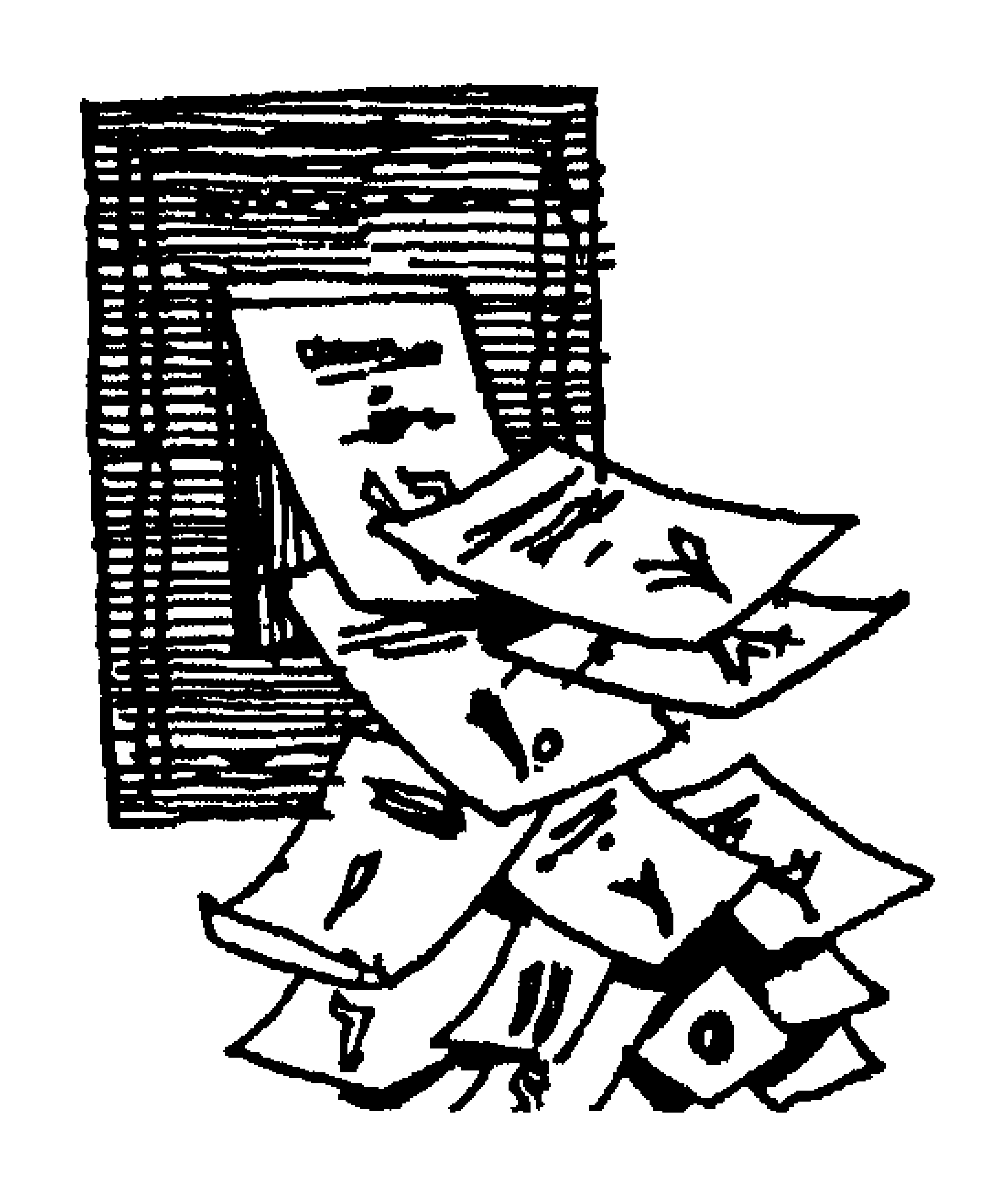
يا ربّةَ المنديل مِنْ تحتِه ... نَبْعَةُ حسنٍ ثَرَّةٌ صافيهْ

ناشدتُك الاسلامَ لا تقتلي ... أخاكِ في دينِكِ يا قاسيهْ

بعد عام

إليها ..!

هواكِ اصبح نَسْياً كلوعتي مَنْسيّا
قد كان شُغلاً لقلبي فصار قلبي خليّا
كأنّ حلوَ الأماني والوصلِ لم تكُ شيّا
مسحتُ آثارَ حُبٍّ كانت على شفتيّا
فيا جفونُ . استقرّي عاد الرّقادُ شهيّا
وارقصْ على حبّ ليلاك يا فؤادُ مليّا



يوم الثلاثاء

حسبتُ أنّ الشبابا ولّى حميداً وغابا
وما ظننتُ فؤادي إلاَّ اهتدى وأنابا
هيهاتَ لم يُرضِ قلبي من الهوى ما أصابا
يا نظرةً لم أرِدْها ساقت إليّ عذابا
لم أدرِ أن الزوايا يا قلب فيها خبايا ..
رددتَ ماضي عهودي عليّ ، فاحمل هوايا

حسبتُ أنّ دموعي جفّت وأقوَتْ ربوعي
وخلتُ نارَ فؤادي خبتْ وراءَ ضلوعي
فأين وجدي وسهدي وصبوتي وولوعي ؟!
وكان يوم الثلاثا شهدتُ فيه العجابا
اليوم يوم الصبايا روافلاً « بالملايا »
لئن أثرن شجوني ففي الزوايا خبايا ..

لاحتْ وجوهٌ ملاحُ خلف الحجابِ صِباحُ

لـكنْ بخلْنَ ولمّا بخلْنَ هبّتْ رياحُ
هذا نقـابٌ ، وهذا شعر ، وهذا وشاحُ ..
فانصبَّ نورٌ وطيبٌ على القـلوب انصبابا
كم للجمال مزايـا وكم له من سـجايا
لولاكِ يا ريحُ كانت بين الزوايا خبـايا ..

بلا عنوان ..!

لم تزل تهجرني منذ سنين ليتني أنعم يوماً برضاكْ

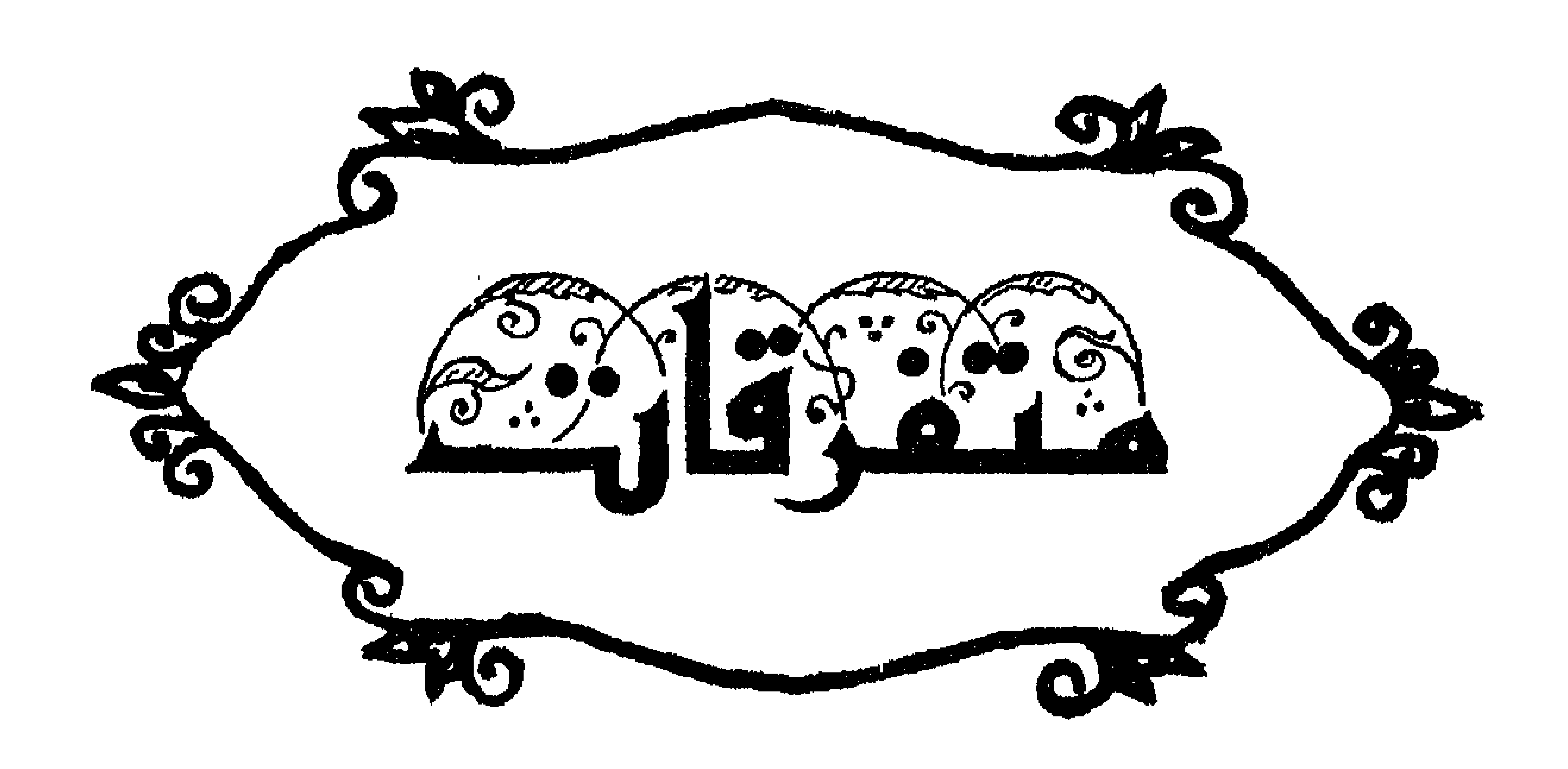
كنتُ في روضٍ أنيق فإذا بحبيبين من الطير هنـاكْ
إن هما طارا يكونان معـاً ومعاً لفّهما دوح الأراكْ
ليتنا يا هاجري مثلهما في تعاطينا الهوى ،لكن اراكْ
لم تزل تهجرني منذ سنينْ ليتني أنعمُ يومـاً برضاكْ

ههنـا نرجسةٌ قبّلها عاشق هام بها يُدعى نسيمْ
منحته طيبها يشفي بـه كلَّ ذي قلب من الهجر سقيمْ
ليتنا يا هـاجري مثلهما في تساقينا الهوى ،لكن أراكْ
لم تزل تهجرني منذ سنينْ ليتني أنعم يوماً برضاكْ

في ظلام اللّيل لاحت نجمةٌ وهفا نجم اليها مُطْرقا

يا حبيب الروح ها إنّسهما في عتاب وأُنقضى ، فاعتد
ليتنا يا هاجري مثلهما في تشاكينا الهوى، لكن أراكْ
لم تزل تهجرني منذ سنين ليتني أنعم يوماً برضاكْ

شمل الكونَ الرضى حتى غدا وهو طيب وجمال وصفا
يا ملولَ القلب ما في الكون مِنْ عاشقين اثنين الاّ ائتلفا
فمتى يا هاجري منك الرضى ؟ ومتى يصفو الهوى؟ لكن أراكْ
لم تزل تهجرني منذ سنينْ ليتني أنعم يوماً برضاكْ


متفرقات

نعمة العافية *

اليكَ توجَّهتُ يا خالقي بشكرٍ على نعمة العافيهْ

إذا هي ولَّتْ فمن قادرٌ سواكَ على ردّها ثانيهْ

وما للطبيب يدٌ في الشفاءِ ولكنها يدك الشافيهْ

تباركتَ ، انت معيدُ الحياةِ متى شئت في الأعظم الباليهْ

وأنت المفرّج كربَ الضعيفِ وانت المجيرُ من العاديهْ

(*) نظمها على أثر خروجه ، رحمه الله ، من المستشفى الألماني في القدس أجريت له عملية جراحية كبرى في آذار سنة ١٩٣٣ .

ملائكة الرحمة

بيضُ الحمائم حسبهنَّهْ أني أُردّدُ سجعهنّهْ
رمزُ السلامة والوداعة منذ بدءِ الخلق هُنَّهْ
في كلِّ روض فوق دانيةِ القطوف لهنَّ أنَّهْ
ويملْنَ والأغصانَ ما خطَرَ النسيمُ بروضهنَّهْ
فإذا صلاهنَّ الهجيرُ هبطْنَ نحو غديرهنَّهْ
يهبطن بعد الحوْم مثلَ الوحي ، لا تدري بهنَّهْ
فإذا وقعن على الغدير ترتّبتْ أسرابُهنَّهْ
صفَّيْن طول الضفَّتين تعرَّجا بوقوفهنَّهْ
كلٌّ تقبِّلُ رسمَها في الماءِ ساعةَ شُرْبهنَّهْ
يطفئْنَ حرَّ جسومهنَّ بغمسهنَّ صدورَهنَّهْ
يقعُ الرَّشاشُ إذا انتفضْنَ لآلئاً لرؤوسهنَّهْ
ويطرْنَ بعد الابتراد إلى الغصونِ مهودهنَّهْ
تُنبيك أجنحةٌ تصفّقُ كيف كان سرورهنَّهْ
ويُقرُّ عينَكَ عَبثُهُنَّ ، إذا جثمن ، بريشهنَّهْ

وتخالهنَّ بلا رؤوس حين يُقْبِلُ ليلهنَّهْ
أخفينها تحت الجناح ونمن ملءَ جفونهنَّهْ
كم هجنني ورويتُ عنهنَّ الهديلَ ، فديتهنَّهْ !

المحسناتُ إلى المريض غدونَ اشباهاً لهنَّهْ
الرَّوض كالمستشفيات ، دواؤها إيناسهنَّهْ
ما الكهرباء وطبّها بأجلَّ من نظراتهنَّهْ
يشفي العليلَ عناؤهنَّ وعطفهنَّ ولطفهنَّهْ
مُرُّ الدواء بفيك حلوٌ من عذوبة نطقهنَّهْ
مهلاً ، فعندي فارق بين الحمام وبينهنَّهْ
فلربما انقطع الحمائم في الدُّجى عن شدوهنَّهْ
أمَّا جميلُ المحسنات ففي النهار وفي الدجنَّهْ

الدم الخفيف

وطبيب رأى صحيفـــة وجهي
شاحبـــاً لونها وعودي نحيفا

قال لا بد من دمٍ ، لك نعطيه
نقيـــاً ملء العروق عنيفـــا

لك ما شئت يا طبيب ولـــكن
اعطني من دم يكون خفيفا !

الحبشي الذبيح

... هذه الديكة الحبشية أو الديكة الهندية – إذا شئت – التي يذبحونها على رنين الأجراس وأفراح المعيدين لتكون (عروس المائدة) تعمل فيها المدى تقطيعاً وتشذيباً لتمتلىء بها البطون مروية بكؤوس الخمر من بيضاء وحمراء...

كذلك هي الأمم المغلوبة على امرها كانت، وما برحت «عروس الموائد» شأن «الحبشي الذبيح» اما ريشه فتحشى به الوسائد، وأما لحمه فتحشى به البطون.

جريدة البرق ١٩٣١

بَرَقَتْ له مسنونــةً تتلهَّـبُ   أمضى من القَـدرِ المتاحِ وأغلبُ

حَزَّتْ فلا خدُّ الحديدِ مخضَّـبٌ   بدمٍ ولا نحرُ الذبيـح مخضَّـبُ

وجرى يصيـحُ مصفـّقاً حيناً فلا   بصرٌ يزوغُ ولا خطىً تنكَّـبُ

حتى غَـلَتْ بي ريبةٌ فسألتُـهمْ   خانَ السّـلاحُ أم المنيَّـةُ تكذبُ

قالوا حلاوةُ روحـه رقصتْ بـــه   فأجبتهم ما كلُّ رقصٍ يُطربُ

هيهاتَ ، دونــكه قضى ، فإذا به   صعقٌ يشرّق تارة ويغرّبُ
اذا به يَزْوَرُّ مختلفَ الخطى   وزكيّـةٌ مَوْتورةٌ تتصبّـبُ
ىدو فيجذِبه العياءُ فيرتمي   ويـكاد يَـظْفَرُ بالحياةِ فتهربُ
تدفقٌ بدمــائه متقلّـبٌ   متعلّـقٌ بذَمائِـــــه متوثبُ
عَـذابُهُ يُدْعى حَلاوةَ روحِه ؟   كمْ منطق فيه الحقيقةُ تُقلبُ
نَّ الحلاوةَ في فمٍ متلمظٍ   شرَهاًليشرب ماالضحيَّةُ تسكبُ
ي فرحةُ العيدِ التي قامت على   ألمِ الحياةِ ، وكلُّ عيدٍ طيّبُ

الشاعر المعلم

(شوقي) يقول ـ وما درى بمصيبتي ـ
« قم للمعلم وفّه التبجيلا »
اقعد ، فديتك ، هل يكون مبجلاً
من كان للنشء الصغار خليلا ..!
ويكاد (يفلقني) الأميرُ بقوله :
كاد المعلم ان يكون رسولا ..!
لو جرّب التعليمُ (شوقي) ساعةً
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غمّة وكآبة
مرآى (الدفاتر) بكرة وأصيلا
مئة على مئة إذا هي صلّحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا
ولو أنّ في « التصليح » نفعاً يرتجى
وأبيكَ ، لم أكُ بالعيون بخيلا

لـكنْ أُصلّـح غلطـــة نحوية

مثلاً ، واتّخذ « الكتاب » دليلا

مستشهداً بالغرّ من آياتـــه

او « بالحديث » مفصلاً تفصيلا

وأغوص في الشعر القديم فأنتقي

ما ليس ملتبساً ولا مبـــذولا

وأكاد أبعث (سيبويه) من البلى

وذويه من اهل القرون الأولى

فأرى (حمـــاراً) بعد ذلك كلّه

رفَـعَ المضاف اليه والمفعولا !!.

لا تعجبوا إنْ صحتُ يوماً صيحة

ووقعت ما بين « البنوك » قتيلا

يا من يريد الانتحار وجـــدته

إنّ المعـــلم لا يعيش طويلا !

مناجاة وردة

جنى عليكِ الحسنُ يا وردتي وطيبُ ريّاكِ فذقْتِ العذابْ
لولاهما لم تُقطفي غضّةً بل لانطوى في الروض عنكِ الشبابْ
لولاهما مرَّ بكِ العاشقونْ
لا ينظرونْ
وربما أعرضَ عنكِ الندى وجازكِ الطيرُ فما غرّدا
عُرفتِ بالفضلِ وكم فاضلٍ جنى عليه الفضلُ يا وردتي

روضتُكِ الغنّاءُ يا وردتي قد أنبتتْ من كل زوجٍ بهيجْ
تنفّسَ الصُّبحُ بأزهارها عن ضاحكِ اللّون زكيّ الأريجْ
نسرينُها، ورندُها، والأقاحْ
كلٌّ مُباحْ
تنقلُ عنها نَسَماتُ الصَّبا تحيّةً لكلِّ قلبٍ صَبا
وطوّفَ الناسُ بأرجائها فوقفوا عندكِ يا وردتي



لِلّهِ ما أصدقَها حِكْمةً فاهَ بها (المجهولُ في عهدِهِ) (١)
« تشتاقُ أيارَ نفوسُ الورى وإنّما الشوقُ الى وردِهِ »

تعزيةٌ أودعَ فيها الضّريرْ
حُكْمَ البصيرْ

ألم يكنْ في قومِه كوكبا لاحَ ليمحو نورُه الغيهبا
فما لهم آلمَهُمْ فضلُهُ حتى لقد آذَوْه يا وردتي

تحكُّمُ النّاس بمستضعَفٍ سرٌّ من الأسرار لا يُدركُ
يا وردتي وربَّ سَهْلٍ بدا طريقُه يُهلِكُ مَنْ يسلُكُ

هلْ حسبوا غصنَك لمّا دنا
سهلَ الجنى ؟

كلاَّ ؛ بل النّفسُ التي تَضْعُفُ تصطنعُ البأْسَ فلا تعرفُ
والسرُّ في بطشِ الورى خوفُهمْ مِنْ هذهِ الأشواكِ يا وردتي

(١) الاشارة الى ابي العلاء المعري .

آل عبد الهادي

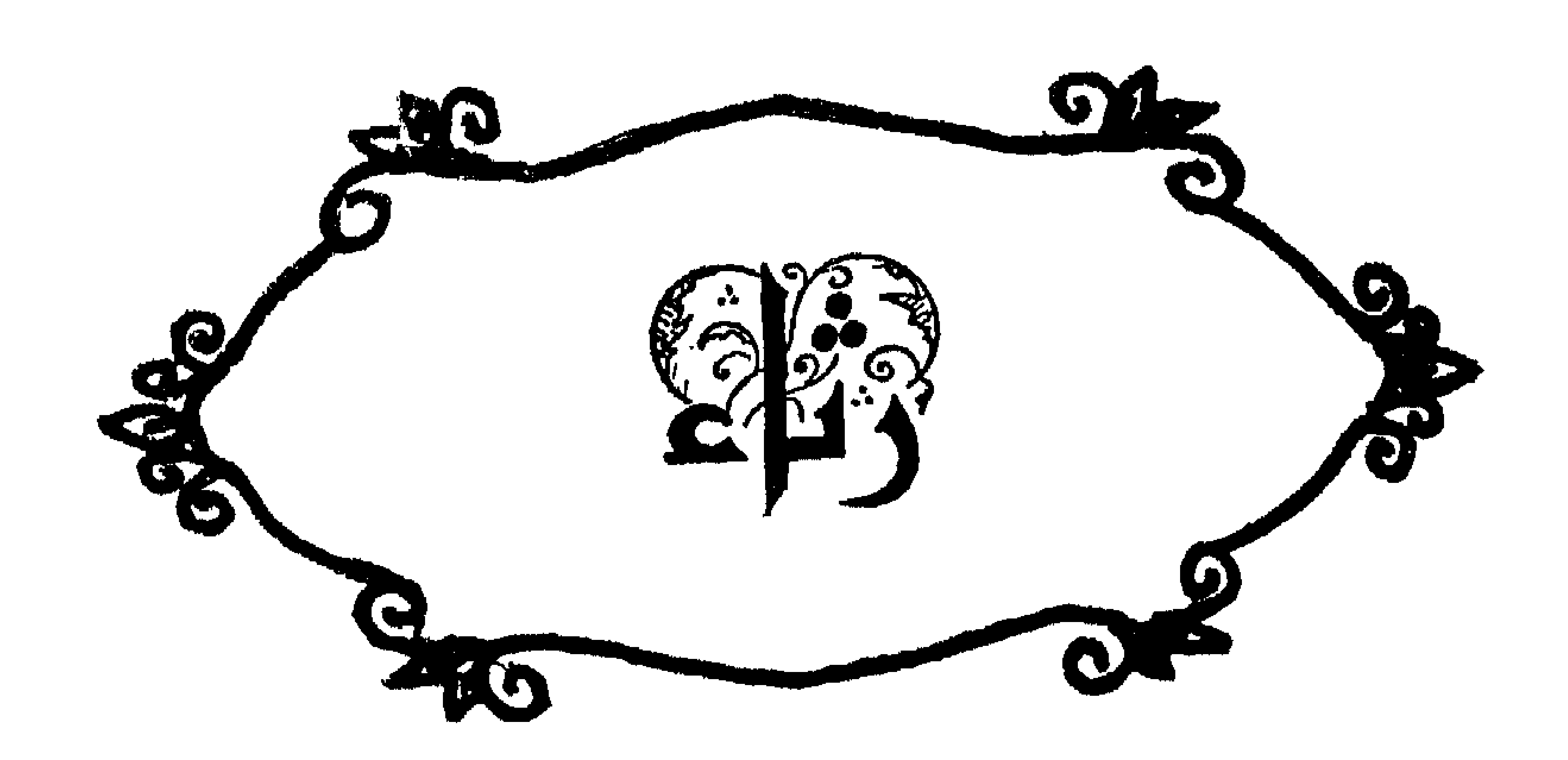
(بمناسبة افتتاح ناديهم في نابلس)

عهدَ الجدود سقاكَ صوبُ عهادِ ... ورجعت للأحفـــاد بالاسعادِ
ماضٍ تحصّنت البلادُ بظلّه ... من كيد منتـــدب وصولة عادِ
المشرفية في الوغى خطباؤه ... تعلو منابرَ من متون جيـــادِ
وشبا الأسنة فيه ألْـسِنَـةٌ إذا ... نطقت فمنطق سؤددٍ وسدادِ
وطنية ان لم يكن عُرِف اسمُها ... لم يَخْفَ جوهرها على الأجدادِ
وتحرّجوا ان لا يمسْ حروفها ... قلمُ الجبان يخطّها بمـــدادِ
حمراء اوردها الدماءَ حفاظهم ... كدراء لم تنفض غبار جهادِ
سائل بها (عزّون) كيف تخضبت ... بدم الفرنجة عند جوف الوادي (١)
عت الرجال ولم تكد حتى مشت ... ـهم الى الهيجـــاء كالأطوادِ

(١) واقعة عزون : خرجت فرقة بقيادة الجنرال «لان» من مرج ابن عامر ، حيث كان نابليون ضارباً بجنوده ، وجعلت وجهتها عزون . وهي قرية لا تبعد كثيراً عن الساحل الفلسطيني شمالي يافا . وفي الوادي خرج عليهم شباب من اهل عزون بزعامة محمد الشيطة فهزموهم واعملوا القتل فيهم .

ثارت (بصالح) نخوة قذفت به في وجه اقبح ظـــالم متمادِ
ومضت به صُعداً الى كرسيه والموت . في يده وراء زنادِ
ألقى به و بظلمهِ من حالقٍ متضرجـين بحمرة الفرصـــادِ

هل عهد (ابراهيم) غير صحيفة قد اشرقت بالعِلْيَـة الأمجادِ
اهل الفعال الغر من انجاده وذوي الحفاظ المر من انداد
كرمت نحيزتهم فهم نبلاء في اهوائهم نبلاء في الاحقـادِ
قالوا اتمدح ؟ قلت اهل فضائل وفواضل من آل عبد الهادي
اصفيتكم ودّي واعلم انـــه ثقل على اللؤماء من حسّادي
لم يبتهج قلبي كبهجته بكـمْ لما تجمّع شمل هذا (النادي)
شمخت بطارف مجدكم اركانه وتوطدت منكم بخير تلادِ


رثاء

رثاء نافع العبوشي

لهفي على (نافعٍ) لو كان ينفعـــهُ

لهفي . . وهيهات ما في الموت نفّاعُ

قد شيّعوه الى قـــبر يحفّ بـه

مِـــن المهابة اتبـــاعٌ واشياعُ

حوتْـه أوطانُه في جوفهـــا فغدا

كأنما هو قلب وهي أضـــلاعُ

يا موطنـــاً في ثراه غـاب سـادته

لو كان يخجــل من باعوك ما باعوا

كارثة نابلس

أدمـــوعُ النساءِ والأطفـــالِ تجرح القلب أم دموع الرجالِ
بـلدٌ كانَ آمنـاً مطمئناً فرمـاه القضـــــاء بالزلزالِ
هزَّةٌ ، إثر هزَّةٍ تركـتـه طللاً دارسـاً من الأطـلالِ
مادت الأرضُ ثم ثَبَّتْ وألقت مـا على ظهرها من الأثقـالِ
فتهـــاوتْ ذات اليمين ديـارٌ لفظت أهلها ، وذات الشمالِ
بعجـاجٍ تُثيره تَرَكَ الدنيـا ظلاماً ، وشمسها في الزوالِ
فإذا الدور وهي إمَّا قبـورٌ تحتها أهلُها ، وإمَّا خـوالِ
وأرقُّ النسيم لو مرَّ بالقـائم منهـا لدكَّه ، فهو بـالِ

لا تقف سـائلاً بنابلس الثكلى فما عندها مجيبُ سـؤالِ
أرأيت الطيـــور تنفـر ذعراً من خفافٍ عن سرحها وثقالِ
هكذا نُفِّرتْ عن الدور أهلٌ عمروها ، الى كهوف الجبالِ
أرسومٌ وكـنٌّ قبل صروحاً كلُّ صرحٍ عاتٍ على الدهر عالِ

فالتحفنا السماء بعد ستورٍ وشفوفٍ مُذالةٍ وحجالِ
وليالي الأعراس يا لهف قلبي عطّلتها تقلُّباتُ الليالي [1]
اضحك الدهر يا ابن ودي وأبكى يوم لم يخطر الأسى في بالِ

ربّ وادٍ كأنّه النَهرُ الأخضرُ يختال في برودِ الجمالِ
خطرات النسيم ذاتُ اعتلالٍ فيه والدّوح مائس باختيالِ
غَشِيَتْهُ الطيور مختلفات رائعات الألوان والأشكالِ
صادحات على أرائك في الأيْك يَصِلْنَ الغدوّ بالآصالِ
نغمات أرسلْنَها ذاتَ تسجيعٍ وكرٍّ في اللحن واسترسالِ
يا طيور الوادي غليل فؤادي كان يشفيه بردُ تلكِ الظلالِ
يا طيور الوادي رزايا بلادي مَزَجَتْ لي الغناء بالاعوالِ
كان واديك للسرور مآلاً فغدا بالثبور شرَّ مآلِ
كان (عيبال) من صدى الأُنس يهتزّ فماذا سمعت في عيبالِ [2]
كان (جرزيم) منزهاً والغواني في ظلال منه وماءٍ زلالِ [1]
أدموع عيونه ؟ أصَباه زفرات الارمال والاثكالِ

---

(١) كانت تقام في اللحظة التي وقع فيها الزلزال حفلة زفاف كبرى للصديق السيد حكمة المصري واخوانه وأبناء عمه .

(٢) « عيبال » جبل يكتنف نابلس من الجهة الشمالية .

(١) « جرزيم » : جبل يكتنف نابلس من الجهة الجنوبية .

يا يد الموت ما عهدتُ أُلوفاً منك هوجاً تمتد للاغتيالِ
طغت الحرب خمسةً ما دهتنا كثوانٍ مَرَّتْ بغير قتالِ
ووجوه المنون شتَّى ، فبانت كلُّها عند هذه الأهوالِ
من وحيد لأمِّه وأبيه جمعوه مفرَّقَ الأوصالِ
ومكبٍّ على بنيه بوجهٍ خلط الدمع بالثرى المنهالِ
وفتاةٍ لاذتْ بحقويْ أبيها جزعاً ، وهو ضارع بابتهالِ
وحريضٍ رأى أبنه يسلم الروح ، قريباً منه بعيدَ المنالِ (٢)
ومريضٍ وعُوَّدٍ ، صرخ الموت ، وكانوا يدعون بالابلالِ
خُسِفَ البيتُ بالمريض ، ومَنْ عاد ، وبالمُحْصَنات والأطفالِ
قد رأينا في لحظةٍ وسمعنا كيف تلهو المنون بالآجال
ههنا نسوة جياع بلا مأوى ، سترن الجسوم بالأسمال

ههنا اسرة تهاجر والغمُّ بديل الأثاث فوق الرحالِ
ههنا مبتلىً بفقد ذويه ههنا معدم كثير العيالِ
ملأ الحزنُ كلَّ قلبٍ وأودتْ ريح يأسٍ بنضرة الآمالِ
دخلاءَ البلاد ، انَّ فلسطين لأرضٌ كنوزها من نكالِ
تِبْرُها صفرةُ الرَّدى فخذوه عن بنيها ، وآذنوا بارتحالِ

(٢) الحريض : الساقط الذي لا يستطيع النهوض .

ربِّ لطفاً ! فقد أتانا نذيرٌ بوباءٍ من بعــد هذا الوبالِ
وجرادٌ ، وكل آتٍ قريبٌ ، أوَ بعد الامحال من المحـالِ
ربِّ ان الكروب تترى علينا حسبنا كرب هجرة واحتلالِ

صاحب غمدان

رثاء العلامة المرحوم جبر ضومط

(استاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية)

(أغمدان) ما يُبكيكَ يا كعبةَ الهدى
وفيم الأسى يا هيكل الفضلِ والنَّدى (١)
عذرتُكَ لو أصبحتَ وحدكَ مبتلىً
أغمدان صبراً لست بالخطب أوحدا
لئن مات يا غمدان (جبرٌ) فشدَّما
أعدَّ رجالاً للحياة وجنّدا
أتبكي على (جبر) وحولك جنده ؟
عزاؤك فيمن راح حولك واغتدى
لبانيك روحٌ ما يزال يمدُّهُمْ
وظلُّك ممدود على الدّهرِ سرْمدا

(١) غمدان اسم قصر الفقيد في جبل لبنان .

ويا مَنْ رأى أركانَكَ الشُمَّ في الربى
تَبَوّأنَ من جناتِ لبنان مقعدا

حنوْتَ على امِّ اللُّغات فصُنْتَها
وكنت لها الصَّرحَ المنيعَ الممرّدا

وكان لها (جبرٌ) أميناً وحامياً
اذا ما بغى الباغي عليها او اعتدى

وللعلم في لبنان شيدت معاهدٌ
فلم تبق ايدي الجهلِ منهن معهدا (١)

وأقبحُ مما قد جَنَوْهُ اعتذارهم
فقالوا : يضيعُ المالُ في رفعِها سُدى ..

وقد زعموها تُنْفِدُ المالَ كثرةً
فهل تركوا مالاً هناك فينفدا !

مصابيحُ انْ هم أطفأوها فإنّها
حباحبُ شؤْمٍ كم أضلّتْ من اهتدى

وما لهفي الاّ على ساعةٍ بها
صدقنا العدا ، لا باركَ اللهُ في العدا

---

(١) الاشارة الى اغلاق المدارس في لبنان ايام الانتداب الفرنسي .

فكمْ مِنْ يدٍ بيضاءَ للعرب عندهم
« ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا »

لئن خلّفوا لبنان يخبط في الدجى
فغمدان يا لبنان ما انفكّ فرقــدا

طريقُ الرّدى مهما يَطُلْ يلقه الرّدى
قصيراً ؛ وإن يَوْعُرْ يَجِدْهُ ممهّدا

وموت الفتى تحني الثمانون ظهرَهُ
كموت الفتى في ميعةِ العمر أمردا

حياتك يا إنسان شتّى ضروبهـا
تحيط بها شتى ضروب من الرّدى

وما قَهَرَ الموتَ القويَّ سوى امرىءٍ
يخلّف بين الناس ذكراً مُخلّدا

يخلّف طيبَ الذكر ، لا كالذي قضى
وخلّف وعداً في فلسطين أنكدا (١)

فأبكى به قوْماً ، واضحك أمةً
أبى اللهُ الاّ أن تهيمَ تشرُّدا

---

(١) الاشارة الى اللورد بلفور ، صاحب الوعد المشؤوم للصهاينة بإعطائهم فلسطين وطناً قومياً لهم .

ولكنَّ خيرَ الناسِ من كفَّ شرَّه
عن النَّاس أو أغنى الحياةَ وأسْعَدا

(كجبرٍ) و (عبد الله) طاب ثراهما
ولا زال فوّاح الشَذى ريِّق الندى (٢)

على خير ما ترجوه كان كلاهما
جهاداً وإسعاداً وغيْـباً ومشهـدا

وهاما هياماً في هوى « مضرية »
كما انقطعا دهراً لهـا وتجرَّدا

فـكم نشرا من ذلك الحسن ما انطوى
وكم آيةٍ في ذلك السحر جدَّدا

بلاغتها افتنَّتْ « بجـبرٍ » وآثرت
فصاحتُـها « البستانَ » ظلاً وموردا

اذا لغـةٌ عزَّت ـ ولو ضيم أهلها ـ
فقد أوشك استـقلالهم أن يُوَطَّـدا

(لجبرٍ) يدٌ عندي تألَّـقُ كالضحى
وقـــلَّ لها شكراً رثائيكَ منشدا

(٢) عبدالله البستاني صاحب قاموس (البستان) وقد توفي بعد الاستاذ ضومط بأيام يسيرة .

غشيتك في دارٍ ببيروت للندى
وللأدب العالي فِناء ومنتدى

وحفَّ ذويكَ البشرُ من كل جانبٍ
وبين أسارير الوجوه تَردَّدا

وآنستَ بي من فيْض نورك لمحةً
فأعليتَ من شأْني معيناً ومرشدا

لقد كنتَ بي بَرّاً ، فيا بِرَّ والدٍ
توسَّمَ خيراً في ابنه فتَعَهَّدا

ويا حسرتا أضحي بنعماكَ ناعماً
وكنتُ بها من قبل حينٍ مغرِّدا

عجبتُ لها من همةٍ كان منتهى
حياتكَ فيها حافلاً مثلَ مبتدا

فيا لغتي تيهي (بجبرٍ) على اللُّغى
ويا وطني ردِّد بآثاره الصدى



وردٌ يفيضُ وهجرة تتدفق

رثاء المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني

وجه القضية من جهادك مشرقُ　　وعلى جهادك من وقارك رونقُ
لله قلبك في الكهولة إنه　　ترك الشبيبة في حياء تطرقُ
قلب وراء الشيب متقد الصّبا　　كالجمر تحت رماده يتحرّقُ
اقدمتَ حتى ظلَّ يعجب واجماً　　جيش من الأيام حولك محدق
تلك الثمانون التي وفَّيْتها　　في نصفها عذرٌ لمن لا يلحق
لكن سبقت بها ، فما لمقصّرٍ　　سبب لمعذرة به يتعلق
عمَّرْتَها كالدوح ظاهر عوده　　صلب وما ينفك غضاً يورقُ

وطني أخاف عليك قوماً اصبحوا　　يتساءلون :مَن الزعيم الأليقُ؟. (١)

---

(١) يشير الشاعر الى ما كان يتردد بين الناس من اختلاف على من سيخلف المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني في رئاسة اللجنة التنفيذية العربية وهي التي كانت توجه الحركة الوطنية في فلسطين . وليذكر القارىء ان المغفورله موسى كاظم باشا الحسيني هو والد شهيد فلسطين المرحوم عبدالقادر الحسيني طيب الله ثراهما.

لا تفتحوا باب الشقاق فـإنـه — باب على سود العواقب مغلَقُ
والله لا يرجى الخلاص وأمركم — فوضى ، وشمـل العاملين ممزقُ
أين الصفوف تَنَسَّقَـتْ فكأنما — هي حائط دون الهوان وخندقُ
أين القلوب تآلَّـفَتْ فتدافعتْ — تغشى اللهيب وكل قلب فيلقُ
أين الأكفُّ تصافحتْ وتساجلَـتْ — تَبْني وتصنع للخلاص وتنفقُ
أما الزعامةُ فالحوادثِ أمُّهـا — تُعطى على قدر الفداء وتُرزَقُ

يا ابنَ البلاد ، وأنت سيد أرضها — وسمائها ، إنّي عليك لمشفقُ
انظر لعيشك هل يسرك أنـه — وِرْدٌ يغيض وهجرة تتـدفقُ
ماذا يردّ الظلم عنك ، أحسرةٌ — أمْ زفرةٌ ، أمْ عَبْـرةٌ تترقرقُ
أمْ بثُّك الشكوى تظن بيانَها — سحراً وحجّتها الضحى يتألقُ !
لا تلجأنّ اذا ظُلِمتَ لمنطق — فهناك أضيـع مـا يكون المنطقُ

أفْضى الرئيس الى ظلال نعيمه — وارتاح قلبٌ بالقضية يخفقُ
آثاره ملءُ العيون ، وروحـه — ملءُ الصدور وذكره لا يخلقُ

رثاء الشيخ سعيد الكرمي

أيها الموت ، أيّ مجلس أنسٍ ووقارٍ عطّلْتَ بعد سعيدِ
أدبٌ كالرياض في الحسن والطيب قريبٌ جناه للمستفيدِ
وكأني بعلمه البحر عمقاً واتساعاً ، نغشاه عذب الورودِ
ونفوس الجلاّس تأنف ، إلاّ عنده ، أن تكون رهن القيودِ
بغزير من علمه ومفيدٍ وقريب من حفظه وبعيدِ
وغريبٍ من أنسه وعجيبٍ وطريفٍ من ظرفه وتليدِ
جامع الفضل في الرواية والشعر الى الأصمعيّ طبع الوليدِ[1]
سلف صالح ، بقية قومٍ بارك اللهُ عهدهم في العهودِ

(*) هو المرحوم الشيخ سعيد الكرمي قاضي قضاة امارة شرق الأردن ومن زعماء فلسطين ، وقد حكم عليه السفاح جمال باشا بالإعدام بعد ان ثبت عليه العمل لمصلحة القضية العربية ثم خفض حكم الاعدام الى السجن المؤبد وبقي رحمه الله مسجوناً في سجن دمشق حتى زوال الحكم العثماني عن البلاد . هذا وكان المرحوم الشيخ سعيد الكرمي من أدباء فلسطين المعروفين وكان راوية للشعر .

(١) الوليد هو الشاعر البحتري المشهور .

عرفوا الخير ، أكرموا فاعليـه   جهـلوا اللـؤم جهلهم للجحودِ
وإذا ما تجرَّدوا لعــــداءٍ   وقفوا بالعـداء عنـد حدودٍ ..
ليت قومي تخلَّقوا بكريم الخلـق هذا ، عند الخصـام الشديدِ
ما أشـدَّ افتقـارنا لسموّ الخلـق في هــذه الليـالي السودِ
ما لـكم بعضكم يمزق بعضاً   أفرغتم من العدوّ اللدودِ ؟ (١)
اذهبوا في البلاد طولاً وعرضاً   وانظروا ما لخصمكم من جهودِ
والمَسوا باليدين صرحاً منيعاً   شــاد أركانـه بعزمٍ وطيدِ
شــاده فوق مجدكم ، وبناه   مشمخـراً على رفات الجـدودِ
كل هذا اسـتفاده بين فوضى   وشـقاق ، وذلة ، وهجــودِ
واشـتغالٍ بالـتُّرَّهاتِ وحبِّ الذات عن نافع عميم مجيــدِ
شهد الله أنّ تلك حيـاة   فُضِّلَتْ فوقها حيــاة العبيدِ
أصبح الموت نعمـةً يُحْسَدُ المَيْتُ عليها موسّـداً في الصعيـدِ
وسعيد من نال مثل (سعيدٍ)   بعد دار الفنــاء دار الخلودِ
فهنيئـاً لك النعـيم مقــيماً   أنت فيـه جارُ العزيز الحميدِ

---

(١) كانت النعرات الحزبية في فلسطين حينذاك على اشدها .

رثاء أبي المكارم

عبد المحسن الكاظمي

سَلْ جنة الشعر ما ألوى بدوحتها حتى خلت من ظلال الحسن والطيبِ
ومن تصدّى يردُّ السيلَ مزدحماً لما تحدّر من شمّ الأهاضيبِ
ومن أغار على تلك الخيام ضحىً يبيح تقويضها من بعد تطنيبِ
هي المنية ما تنفكّ سالبةً فما تغادر حيّاً غير مسلوبِ
حقٌ العروبة ان تأسى لشاعرها وتذرف الدمع منهلاّ بمسكوبِ
وترسل الزفرة الحرّى مصدّعة ضلوع كل عميد القلب مكروبِ
من للقريض عريقاً في عروبته يأتي بسحرين من معنى وتركيبِ
ومن لغرّ القوافي وهي مشرقة « كأوجه البدويات الرّعابيب »
(أبا المكارم) قم في الحفل مرتجلاً مهذّباتك لم تصقل بتهذيبِ (١)
وأضرِم النارَ ان القومَ هامدة قلوبُهمْ ، ذلّ قلبٌ غير مشبوبِ
وانفخ إباءَكَ في آنافهم غضباً فقد تُحَرِّكُ أصنامَ المحاريبِ
تمكن الذّلّ من قومي فلا عجب الاّ يبالوا بتقريع وتأنيبِ

---

(١) كان الشاعر الكاظمي رحمه الله يرتجل الشعر ارتجالا كلما عنّ له .

ما أشرفَ العُذْرَ لو أن الوغى نثرتْ أشلاءَهم بين مطعون ومضروبِ
لكن دهتهم أساليب العداة وهم ساهون لاهون عن تلك الأساليبِ
ويقنعون بمبذولٍ يلوّحُه مستعمروهم بتبعيد وتقريبِ
كأنهم لم يُشيّدْ مجدُ أولهم على السيوف وأطرافِ الأنابيبِ
يا رائداً كلَّ أرض أهلها عربٌ يجتازها بنضْو تصعيد وتصويبِ
ومنشداً عندهم علماً ومعرفةً بحالهم بين إدلاج وتأويبِ
هل جئْتَ منهم أناساً عيشهم رغدٌ أم هل نزلت بقطر غير منكوبِ
أم أيّ راعٍ بلا ذئبٍ يجاوره إن لم تجد راعياً شراً من الذيبِ

تبوّأ الكاظميُّ الخلدَ منزلةً يلقى من الله فيها خيرَ ترحيبِ
(أبا المكارم) أشْرِفْ من علاكَ وقلْ أرى فلسطين أم دنيا الأعاجيبِ
وانظر الينا وسرّح في الحمى بصراً عن الهدى لم يكن يوماً بمحجوبِ
تجد قوياً وفى وعدَ الدخيل ولم يكن لنا منه إلا وعد عرقوبِ
ومرَّ سبع وعشر في البلاد له وحكمه مَزْج ترهيب وتجريبِ
قد تنتهي هذه الدنيا وفي يده مصيرنا رهن تدريب وتجريبِ
حال أرى شرَّها في الناس منتشراً وخيرَها للمطايا والمحاسيبِ
هل في فلسطين بعد البؤس من دعةٍ أم للزمان ابتسام بعد تقطيبِ
كم حقق العزم والاعجال من أملٍ وخاب قصد بإمهالٍ وتقليبِ

نسر الملوك

رثاء المغفور له صاحب الجلالة فيصل الأول ملك العراق

ألقيت في حفلة الأربعين التي أقيمت في مدينة نابلس

شيّعي الليلَ وقومي استقبلي	طلعةَ الشمس وراء الكرملِ
واخشعي ، يوشك أن يغشى الحمى	يا فلسطين سنىً من فيصلِ
يا لها من ديمة يرفعها	منكبُ الأفق لعين المجتلي
نشأت أمناً وظلاً وهدىً	كهدى النجم لفلك مقبلِ
ما دنا حتى همى الدمعُ فهل	« إيلياءُ » الغيث فوق الجبلِ ؟

(*) سافر المغفور له صاحب الجلالة الهاشمية فيصل الأول ملك العراق الى اوروبا ولكنه اضطر للعودة الى العراق بسبب فتنة الآشوريين ثم استأنف السفر الى اوروبا فوافاه الأجل المحتوم في سويسرا وقد نقل جثمانه الطاهر على ظهر باخرة وجيء به الى حيفا حيث كانت فلسطين عن بكرة ابيها بانتظاره . اما فتنة الآشوريين المشار اليها في هذه القصيدة فقد وقف منها المغفور له صاحب الجلالة الملك غازي ــ وكان ولياً للعهد – موقفاً صلباً ووقعت بينه وبين البريطان مشادة عنيفة بشأنها .

ذلـك الفلـكُ الذي يحمـله مثـلَه منـذ جرى لم يحمـلِ

لو تعـدَّى لُجَّةَ البحر بـه خاض في لجـة دمعٍ مسبـلِ

وانطـوى العاصفُ والمـوج له فاكتسى البحرُ غضونَ الجدولِ

وإذا بالفلك يجري بينهـــا كمرور الطيف بـين المقـلِ

يكـرمُ الراقدَ يدري أنـه يُؤْثِرُ الراحةَ والقلبَ الخـلي

راقـدٌ ينعمُ في ضجعتـــه خلَّـف الدنيـا به في شغلِ

أيقـظ اللَّـوعـةَ فيها والأسى وغفـا بينهما لم يحفـــلِ

مطبقَ الأجفانِ عن جفن طغى جامحِ الدمـع وجفنٍ مجفـلِ

مطمـئنَّ القلبِ ما تزعجـه زفراتٌ كالغضا المشتعـــلِ

ما الذي أعددْتِ من طيب القرى يا فاسطـين لضيفٍ معجلٍ ؟

لا أرى أرضـاً نلاقيـه بهـا قد أضاعَ الأرضَ بيعُ السِفَـلِ

فاستري وجهَـكِ لا يلمحْ على صفحتيهِ الخزيَ فوقَ الخجلِ

أكرمي ضيفَـكِ إنْ احببتـه بأمانيـــه الكبـارِ الحفَّـلِ

لا تقومي حولَـه معـــولة من جلال الملكِ ألاّ تُعْـولي

واسألي الباغـين ماذا هالَـهُمْ منه في أكفانه إنْ تسألي

راعهم حيّاً وميتـــاً فاتقوْا همَّـةً جبَّـارةً لم تُخْـذلِ

ورأوْا في كل قلب حــوله جـذوةَ العزمِ ونورَ الأمـلِ

بطلٌ قد عـــاد من ميدانه ظـافراً يا مرحبـاً بالبطـــلِ

فارس « الشقراء » يجلو باسمها غمرة ليلتُـها ما تنجـــلي [1]
صاحبُ التاجيْن في موكـبه رايةُ المجد المنيعِ الأطولِ [2]
من رأى « نسرَ الملوك » المرتجى طار من عقبانه في جحفـلِ
وســواءٌ في الأعاصـير مضوْا أم مضوْا في نفحات الشّمْألِ
كجنود الله طـارتْ خيلُـهم يوم بـدرٍ في سماءِ القسطـلِ
من رأى ناراً على عاصفـةٍ هكذا أنقضّ غضوباً من علِ

هبـط المعقـلَ يخشى حدثـاً ويمـينُ الله حِرْزُ المعقلِ [1]
أشِرتْ « آشورُ » حتى جاءها أمرُها بـين الظبى والأســلِ
كلُّ لؤْمٍ وعقـوقٍ دونـــه فعل«شمعون»لئيمِ «الموصلِ» [2]

---

(١) لما أعلنت الثورة العربية الـكبرى كان المغفور له الملك فيصل الأول خـارج الحجاز في زيارة أعدها له الأتراك وعندما صمم باعث النهضةالعربية على اعلان الثورة ضد الأتراك بعث الى ابنه (الأمير) فيصل ببرقية جاء فيها (ارسلوا الفرس الشقراء) دعوة منه لابنه بالعودة الى الحجاز فعاد .
(٢) تاج سوريا وتاج العراق .

(١) يشير الشاعر الى عودة المغفور له الملك فيصل الى العراق إثر فتنة الآشوريين .
(٢) شمعون هو زعيم الفتنة الآشورية .

ثورةُ الغاضب للحــقِّ تُرى هذه ، أمْ شغبٌ من وُكَّلِ ؟ (٣)
ذلـك السيفُ الذي جرَّده فضحتــه عيْنُ هــذا الصيقلِ
يا لَـعَـيْنٍ سهرتْ عن فيصلٍ تحرس الملكَ له ما تأتــلي
رأتْ الغدرَ فآذاها ، فهــل تحمـلُ الضيم ولمّا تغفــلِ
خُلُـقٌ في ابنك « غازي » لم يكن بغريبٍ عن قريب المنهــلِ
لم يُطِـقْ شبلُـك ضيماً سيدي ، فاستمعْ للعذر قبـل العـذلِ
قد يكونُ الحزم في العزمِ وقد يُكتبُ التوفيــقُ للمستعجلِ
غضبــةٌ من رجـلٍ في أُمَّـةٍ جعلتــه أُمَّـةً في رجــــلِ

من هفـا للمثـل الأعلى يجِـدْ في بني هـــاشم أعلى مثـلِ
أيُّـكم يا آل بيت المصطـفى ما قضى مستشهداً منذ « علي »
لا أحاشي بينكم من أحـــدٍ فـكميُّ الحرب صِنْـوُ الأعزلِ
كلـكم ينشأُ قلبـــاً ويــداً ولساناً في جهــــاد المبطـلِ
فتــح الخـلدُ لـكم هيـكله فـإذا أنتم بُـدورُ الهيكـلِ
ضمَّ جبريـل جناحيـه على سؤْددٍ محضٍ ونُبْـلٍ أمثـلِ
وأطـاف المـلأُ الأعلى بمنْ عزمه في الحـقِّ عزمُ الرسـلِ

---

(٣) يتساءل الشاعر هل هذه ثورة قام بها الآشوريون من تلقاء انفسهم ام فتنة حرضهم عليها الأجانب .

فيصلٌ شيَّد ملكاً لم يزل   يحمى الله وغازي يعتـلي
وبشعبٍ بذلَ الروح ومن   ينشُدُ الملكَ وطيداً يَبْذُلِ
ليس من « حامٍ » لكيدٍ ينبري   فيه أو « منتدب » مختتلِ
أضرموا النارَ وصبّوا فوقها   دَمهم حُرّاً أبيّاً يغتلي
صهروا الأغلالَ وانصاعوا الى   دنس الأرضِ فقالوا اغتسلي
وإذا دجلةُ عَذْبٌ وِردُها   وإذا النخلُ كريمُ المأكلِ
وإذا بغداد مما ازدهرت   حليةُ التاريخ بعد العطلِ
ووقاها اللهُ والعونُ به   دولَ الغدرِ وغدرَ الدّولِ

تعزية البيت الهاشمي

الى روح المغفور له الملك علي بن الحسين

بني هاشم بين المنـــايا و بينكم تراثٌ وما تغفو المنايا عن الوِتْـرِ
مضت (بأبي الأشبالِ) يستنشد الوغى وراياته فيها على دول الغدرِ (١)
ومانكّـبَتْ عن (شاكر) بعد (فيصلٍ) وغالت (علياً) واللواعج في الصدرِ (٢)
مقامات أقيـــالٍ تغيب شموسها وغارات أبطال تُرَدّ عن النصرِ
بني هاشم لا أخمَـدَتْ جمراتِكم ولا أغمدت أسيافكم نوبُ الدهرِ
بأوجهكم تنفضُ حالكة الدّجى وأيْمانكم ترفضُّ مجفـــلةُ القطرِ
ونيطتْ (بعبد الله) آمالُ أمّـةٍ وفي ظلّ (غازي) عَوْدُ أيامها الغرِّ

---

(١) (ابو الاشبال) هو المغفور له صاحب الجلالة الملك حسين بن علي بن عون.
(٢) (شاكر) هو المغفور له الأمير شاكر بن زيد من ابطال العرب .

الملك حسين

رحمة الله عليه إنه … غاله اليأسُ ، وكان الأملا

ويح قومٍ خذلوه بعدما … أخذوا الميثاقَ ألاَّ يَخذُلا

شيمة الغدْرِ بمن ينصرهم … ذهبت يا (ابن عليٍّ) مثلا

آل بيتِ المصطفى لم تبرحوا … تَرِدونَ الموتَ في ظلِّ العُلى

كادت الكأسُ التي في قبرصٍ … تُشْبهُ الكأسَ التي في كربلا

رثاء أديب منصور

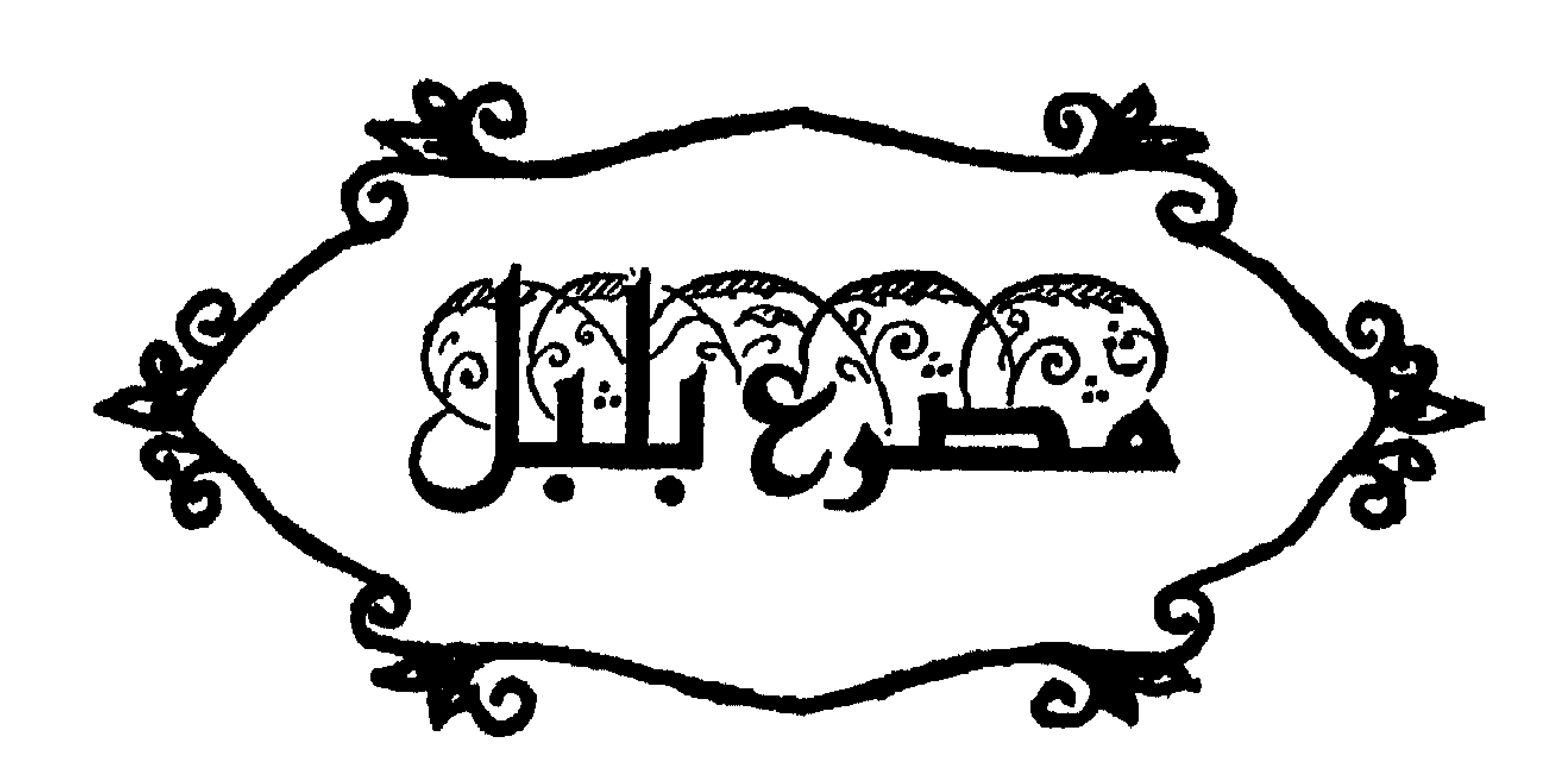
عرفتُ (أديباً) فأحببتـه وسرعان ما غاب هذا الحبيبْ
ويا لهفي ، الآنَ كلّمتـه وفي لحظةٍ بات لا يستجيبْ
ويا حسرتي للرّدى ، مزّقتْ يـداه رداءَ الشباب القشيبْ
وكان نضيراً على منكبيـه فأصبح منه سليباً خضيبْ
دعـاني البكاء فلبّيتـه جزوعاً عليه بدمع صبيبْ
وسِرْتُ بموكبه خاشعاً أُشيّعـه بين حفلٍ مهيبْ
تُفيـضُ أكاليلُه طيبها ودون شمائله كلُّ طيبْ
وعدت عن القبر في العائـدين امامي نحيبٌ وخلفي نحيبْ
وفي كل نفسٍ له لوعـة وفي كل قلب عليه لهيبْ

(*) كان المرحوم اديب منصور من موظفي محطة الاذاعة في القدس وكان يعمل مع المرحوم ابراهيم • وفي احد الأيام وضع مجرمون من الارهابيين اليهود قنبلة موقوتة في مكاتب الاذاعة فانفجرت القنبلة مودية بحياة المرحوم اديب منصور • فرثاه ابراهيم بهذه القصيدة وألقاها في حفلة الأربعين التي أقيمت في جمعية الشبان المسيحية في القدس تخليداً لذكرى المرحوم اديب

عرفت (أديباً) حميد الخصال وأحببتُ فيه الذكيَّ اللبيبْ
وروحاً على القلب مثل النسيم يهبُّ فينعش قلب الكئيبْ
وكان قريراً بآمـــاله فأدعـو له الله ألاَّ تخيبْ
وكان يراها بعين الأريب ولكنَّ للدهر عينَ الرقيبْ
ويكلأهـا بالنشاط العجيب وللدهر في النَّاس شأن عجيبْ
تناول ذاك الفؤادَ الخصيب فأصبح وهو الفؤادُ الجديبْ
وحطّم بنيانَ آمـــاله بكفّيْ لئيمٍ خؤون رهيبْ

عزاءً لكم ، أيها الأقربون ، جميلاً لنا فيه أوفى نصيبْ
لئن باعدت رحمٌ بيننا لقد كان فينا الحبيب القريبْ
بنا ما بكمْ من غليل الأسى بقلب ألحَّ عليه الوجيبْ
ومرَّ بنا يومه (الأربعون) يجدِّد لي ذكر يوم عصيبْ
فقدتُ فتىً كان في أسرتي ملاذ القريب وعونَ الغريبْ (١)
أبيّاً على الضيم ، عفَّ اليدين ، نقيَّ السَّريرة مما يريبْ
فذاك ابن عمٍ ، وهذا صديق وذاك (عفيف) ، وهذا (أديبْ)

(١) الاشارة الى المرحوم ابن العم عفيف طوقان مهندس لواء القدس الذي قتل بسبب انفجار لغم ارضي تحت سيارته وهو مسافر على طريق بيت جبرين في لواء الخليل .


مصرع بلبل

مصرع بلبل

حكاية رمزية تمثل الواقع في حياة المدن الكبرى حين يدخل غمارها الشاب قادماً من البلدة الصغيرة أو القرية البسيطة... هذه الحياة الصاخبة تخلب ذلك الشاب بزخرفها وفنون لهوها وألوان عبثها، تجتذبه فيرتمي بين أحضانها ويلقي بقيادة اليها فتذهب به في مزالق الضلال كل مذهب.

ثم تسفر هذه الحياة عن وجه كالح، وتنقشع نشوتها عن صحو مضى أوانه.... فاذا هنالك افلاس في احد ثلاثة: في المال، أو الصحة، أو المستقبل. وكثيراً ما أعلن الافلاس في الثلاثة جميعاً، وهنالك الفاجعة الأبدية... أما «البلبل» في هذه الحكاية فرمز الشاب المخدوع، واما «الوردة» فرمز بائعة اللهو والعبث...، وأما «الروض» فهو رمز الحانة أو الملهى.

قدَرٌ ساقـــه فآواهُ روضاً لم يكنْ طار فيه قبلاً وغنّى
فاستوى فوق ايكةٍ ورمى عينيه فيما هنـاك يُسرى ويُمنى
وإذا الروضُ بهجةُ الروح طيباً وظلالاً، وفتنـةُ العين حسنا

وكأنّ الغديرَ بين ضلالٍ وهدىً كلما استوى أو تثنّى
تنحني فوقه كرائمُ ذاك الدوح منها الجنى ، وكم يتجنّى ..
مطمئنٌ يسير تيهاً ، فإن رام عناقَ الصخورِ صدّتْ فجُنّا
هكذا يصبح الحبيبُ المعنّي بعد حينٍ وهو المحب المعنّى

ومضى البلبلُ الغريبُ يطوف الروضَ حتى انزوى محيّا النهارِ
راح يأوي الى الغصون ولكن كيف يغفو مشرّدُ الأفكارِ
كان في الروض فوق ما يتمنى من فنون الأثمار والأزهارِ
غير أنْ ليس فيه طير يغنّي أيّ روض يحلو بلا أطيارِ
وسرتْ فيه رعدة حين لم يلق سوى دارسٍ من الأوكارِ
وبقايا نواقفٍ رغم الموت عليها ، مخضّب الأظفارِ
أيّ خطبٍ أصابكمْ معشرَ الطير ..؟ وماذا في الروض من أسرارِ ؟

طلع الفجر باسماً إثرَ ليلٍ دونه وحشةً كهوف المنيّهْ
تتنزّى أشباحه صاخباتٍ عارياتٍ ، أكفُّها دمويّهْ
ورُجومٌ تفري الغيوم وتهوي كل رجمٍ من الجحيم شظيّهْ
وخسوف تحدّث البدر فيه بفم الحوت منذراً برزيّهْ
ذاك ليل قضي على البلبل المنكود لولا يدٌ تصدّتْ عليّهْ
ملكة عرشها المشارق ، والتاج سناها ، أعظِمْ بها شرقيّهْ

أنقذته فهبَّ يشدو شكوراً مرحاً ، هاتفاً لها بالتحيَّهْ :

مليكة النـيّراتْ إلهـَة المشرقَيْنْ
النـاس في الغابراتْ إليك مدّوا اليديْـنْ
وأحرقوا في الصلاةْ نضارهم واللُّجَيْنْ
وقرّبوا الأعنـاقْ
زلفى تُراقْ

يا ليل إنّ الصباحْ رمز حيـاة الورى
أنفاسُـه في البطاحْ وروحـه في الذرى
أما رأيت الأقـاحْ أفاق بعد الكرى
وضوّع الآفـاقْ
لمـا أفـاقْ

هناك راعي الغنَمْ جذلان ، حيُّ الفؤادْ
يرتع بين الأكَمْ يهيم في كل وادْ
والنايُ صبّ النغمْ وبثّـه في الوهـادْ
كزفرة الأشـواقْ
غِبَّ الفراقْ

*

نسي الطيرُ همَّه حين غنَّى قلما يستقرّ همُّ الطروبِ
ألِف الروض مفرداً وتولّى عنه في دوحه شعورُ الغريبِ
مستقلٌّ في الملك ، لا من شريكٍ طامعٍ يُتَّقى ، ولا من رقيبِ
مطلقٌ ، يستقرُّ عند نمير تارة او يقيل فوق رطيبِ
وإذا (وردة) تفيضُ جمالاً تتهادى مع النسيم اللعوبِ
قد حمتها أشواكُها مشرعاتٍ حولها دون عابث أو غصوبِ
تمنح العين حين تبدو وتخفي من ضروب الاغراء كل عجيبِ

كلٌّ قلبٍ له هواه .. ولكن ليس يدري متى يجيء زمانُهْ
وهو إمَّا في ظلِّ جفن كحيل كامن السحر ، راقد أفعوانُهْ
أو وراء ابتسامةٍ حلوةِ الثغر ، نقيّ ، مفلَّجٍ أقحوانُهْ
أو على الصدر يستوي فوق عرشين .. مكيناً مؤيداً سلطانُهْ
فاذا كان لفحةً من جحيم الرجس .. أملى أحكامَه شيطانُهْ
وإذا هبَّ نفحةً من نعيم الطهر .. قامت ركينة أركانُهْ
هوذا الحب فليكن حين يأتيك بريئاً من كل عيب مكانُهْ

صارت الوردة الخليعة للبلبل همّاً ومأرباً يُشقيهِ
حسرتا للغرير أصبح كرباً ما يلاقيه من دلالٍ وتيهِ
شفَّه السهدُ واعتراهُ من الحبّ سقامٌ مبرّحٌ يضنيهِ

من رآها وقد تحامل يهفو نحوها ، كيف أعرضت تغريه
من رأى روحه تسيل نشيداً لاهباً ، لوعةُ الأسى تُذكيه
هي (حوّاء) ذلك الخلد فاحذرْ لا تكوننَّ أنت (آدمَ) فيه
لا تهب قلبك الكريمَ لئيما تحت رجليه عابثاً يلقيه

هل يرى في ظلال وردته الحمراء سرّاً بدا وكان خفيّا
هل يرى للطيور فيها قلوباً نبذتهنَّ يابساً وجنيّا
هل يرى اليوم ما الذي جعل الروض كئيباً من الطيور خليّا
كم نذيرٍ بدا لعينيه حتّى قام شخص الردى هناك سويّا
سامه حبُّه شقاء ولكن نعمة الحب أن يكون شقيّا
والهوى يطمس العيون ويُلقي في قرار الأسماع منه دويّا
هكذا يسلك المحب طريق الخوف أمناً ويحسب الرشد غيّا

من ترى علَّم البخيلة حتى سمحت أن يقبِّل الطير فاها
لم يصدِّقْ عينيه حتى أطلَّتْ وأطالت في ختله نجواها
زلزل الروض عند ذلك بالألحان .. فاسمع روايتي عن صداها :



نشيد البلبل للوردة

أنشدي يا صَبا وارقصي يا غصونْ
واسقني يا ندى بين لحظ العيونْ
فيك يا وردتي قد حلا لي الجنونْ
أنا مني الهوى أنت منك الفتونْ
أنشري ما طوتْ من غرامي السنونْ
كان في أضلعي فَرَوَتْهُ الجفونْ
اقربي من فمي فحديثي شجونْ ..

*

ضمَّها الطير مطبقاً بجناحيه ، وهمَّت بثغره شفتاها
لم يُمتَّعْ بنشوة الحبّ حتى أشرعت شوكة تلظَّى شباها
اوردتها قلباً ، اذا رفّ يوماً خافقاً للهوى فذاك هواها
كرعت في الدم البريء فلما عكسته وهَّاجةً وجنتاها
نظر الطير نظرةً . أعقبتْها روحُه طيّ شهقة معناها :
وردة تبهر العيون ولكن كثرةُ الشمِّ قد أضاعتْ شذاها



نشيد رثاء غازي (*)

رايــــةٌ روّعها خطب عراها   خفقتْ والهـة فـوق ذراهـا
والصّبـا مرّت بها نائحـــةً   جزعـاً تنعي الى الدنيـا فتاها
يا رايـتي تجمّــلي   و بعد غازي أمّلي   واعتصمي بفيصـــلِ
أمنيــة المستقبـلِ
كعهد غازي أشرفي   على الحمى ورفرفي   منيعـــة بفيصـــلِ
ريحانة المستقبـلِ

يا سليـل المرهفات البـاترات   وابن رايات المعـالي الخالدات
نمْ رضيّ البـــال وانعم إنما   عهدنا عهدك عزم وثبـــات
نم بالهنــا فإننـا   وراء تحقيق المـنى   نبـني بهنّ الوطنا
فيعتــلي و يعتـلي
ولم نزَلْ له الفـدا   حتى ينال الفرقدا   مكـرّمـاً مخلّــدا
مؤيّــداً بفيصـلِ

(*) لحنه المرحوم يحيى الابابيدي وأذيــع من محطة القدس .

أشواق الحجاز

بلادَ الحجاز اليك هفا فؤادي وهامَ بحبّ النبي
و يا حبذا زمزمٌ والصفـا و يا طيبَ ذاك الثرى الطيّـبِ

ذكرى الهادي ، والأمجادِ مـلءُ الوادي ، والأنجادِ
أثر الهممِ ، منذ القدمِ حول الحرم ، أبداً بادِ
بلادَ الكرامِ شموسِ الهـدى
عليـك سـلامي مـدىً سرمـدا

*

هنيئاً لمن حضر المشهدا وطاف بكعبة ذاك الحرم
ومن قبّـل الحجرَ الأسودا وظلّـله الركنُ لمّا استلم

*

بروحي ربوعُ النبي الأمين وصحبُ النبي هداةُ الملا
ومشرقُ نور الكتاب المبين عمادِ الحياة وركنِ العلا

ذكرى الهادي والأمجـاد ملء الوادي والأنجـاد

أثر الهمـم منذ القدم حول الحرم أبداً باد

بـلادَ الكرامِ شموسِ الهـدى

عليـك سلامي مـدى سرمـدا

موطني

موطني الجلالُ والجمالُ والسناءُ والبهاءُ في رُباكْ
والحياةُ والنجاةُ والهناءُ والرجاءُ في هواكْ
هل أراكْ
سالمًا منعّماً وغانمًا مكرّماً
هل أراكْ في علاكْ
تبلغ السماكْ
موطني

موطني الشباب لن يكلَّ همُّه ان تستقلَّ أو يبيدْ
نستقي من الردى ولن نكون للعدى كالعبيدْ
لا نريدْ
ذلّنا المؤبدا وعيشنا المنكدا
لا نريدْ بل نعيد

مجدَنا التليدْ

موطني

موطني الحسـامُ واليراعُ لا الكلامُ والنزاع رمـزنا
مجدنا وعــهدنا وواجب الى الوفا يهـزُّنا

عِــزُّ نــا

غــايةٌ تشرّفُ ورايــةٌ تـرفرفُ
يــا هَنــاكْ في عــلاكْ
قاهراً عِداكْ
موطني

فِتيةَ المغربِ

فتْيةَ المغربِ هيَّا للجهادْ نحن أوْلى النَّاسِ بالأندلسِ
نحن ابطالُ فتاها أبنِ زيادْ ولها نُرخصُ غالي الأنفسِ

قِفْ على الشاطىء وأنظر هل ترى لَهَبَ النَّارِ وآثارَ السُّفينْ
يَومَ لا طارقُ عاد القهقرى لا ، ولا آباؤنا أُسْدُ العرينْ

يومَ لا عزمُ الجبالِ الراسياتْ مُشْبهٌ عَزْمَ شبابِ المغربِ
لا ولا همةُ بحرِ الظلماتْ أشبهتْ هِمَّةَ جيشِ العربِ

يا فتى المغربِ سَلْها مَنْ بنى دارَها الحمراءَ تسمعْ عَجَبا
فأعِدْهـا لذويهـا وَطنـا تحسدُ الدّنيا عليه العربا

نحن أهلوها وان هَبَّتْ صَبا مِن رُباهـا فعلينـا أَوّلا
جَنَّةُ الفردوسِ هاتيكَ الرُّبى كيف تبقى لسوانا نُزُلا

نشيد بطل الريف

في ثنـايا العجاجْ والتحـام السيوفْ
بينما الجـوُّ داجْ والمنـايا تطوفْ
يتهادى نسـيمْ فيـه أزكى سلامْ
نحو (عبد الكريم) الأمـيرِ الهـمامْ
ريفُـنا غابُـنا نحن فيه الأسود ريفُـنا نحميـهْ

كلُّـنا يعجبُ بفـتى المغربِ
كلُّـنا يطربُ لانتصـار الأبي
أين جيش العـدا إنْ دعا للجهادْ
أصبحـوا أعبُـدا بالسيوف الحدادْ
ريفُـنا غابُـنا نحن فيه الأسودْ ريفُـنا نحميـهْ

طالمـا استعبدوا وأذلُّوا الرقـابْ
أيهـا الأيِّـدُ جاء يوم الحسابْ
فليذوقوا الزعـافْ بالظبي والأسـلْ
وَلْـنُعَلِّ الهتـافْ للأمير البطـلْ
ريفُـنا غابُـنا نحن فيه الأسودْ ريفُـنا نحميـهْ

العَمَل

مجدُ البلادْ بالشباب العاملينْ
والاجتهادْ للعلى نهج مبينْ
هبّوا إذنْ واجنوا الثمنْ عز الوطنْ
مدى السنينْ

إن العملْ يحيي الأملْ
سرُّ الوجودْ فيه نسودْ
في العالمينْ

ما للكسولْ قيمة بين الملا
ولا الخمولْ سُلَّمٌ الى العلا
إن الهممْ تبني الأممْ خير الشيمْ
أن نعملا

إنّ العملْ يحيي الأمــلْ
سرُّ الوجـودْ فيـــه نسودْ
في العالمـــينْ

عزم الشبابْ قـوة لا تُغلـبُ
ولا يهــابْ أيَّ هولٍ يركبُ
لا ينثـني أو يجتـــني لـــلوطــــنِ
مـا يطلـبُ
إنّ العملْ يحيي الأمــلْ
سرُّ الوجـودْ فيـــه نسودْ
في العالمـينْ

وطني أنتَ لي

وطني أنت لي والخصم راغمْ   وطني أنت كل المنى
وطني إنني إن تسلم سالمْ   وبك العزّ لي والهنا

يا شبابنا انهضوا   آن أن ننهضا
ولنعلّ الوطـن   فلنِنْعمَ الوطـن
وانهضـوا وارفعـوا عاليـا   مجـدكم خالداً ساميا

وطني مجده في الكون أوحدُ   وطني صافح الكوكبا
وطني حسنه في الكون مفردُ   جنـة سـهله والربى

يا شبابنا انهضوا   آن أن ننهضا
ولنعـلّ الوطـن   فلنعم الوطـن
وانهضـوا وارفعـوا عاليـا   مجـدكم خالداً ساميا

وطني حيث لي محبٌّ ينطقُ   بلساني وما أشعرُ
وطني حيث لي فؤادٌ يخفقُ   وبه رايتي تنشرُ

يا شبابنا انهضوا   آن أن ننهضا
ولنعلِّ الوطن   فلنعم الوطن
وانهضوا وارفعوا عاليا   مجدكم خالداً ساميا.

وداع *

لا تقــل لله لبنــان الأشمّْ
لا تقــل أشتاقُ ألحــان الخضمّْ
عشْ كما أهواك مكفوفاً أصمّْ
يا فؤادي وأُســلُ أيام الهوى

هــل رأيت الروض أيام الخريف
ذابــل الأزهــار مسلوب الحفيف
متواري الحسن في الغــيم الكثيف
يا فؤادي أين أيام الهــوى !

(*) نظمها قبيل سفر الصديق الشيخ سعيد تقي الدين مهاجراً الى جزائر الفلبين سنة ١٩٢٦ .

هل رأيت الطير في الروض يدورْ
هائماً يبحث عن عهد السرورْ
مرغماً ينساق والريح تثورْ
يا فؤادي أين أيام الهوى !

لا تسلني يا فؤادي عن هناءْ
لك في الروض وفي الطير عزاءْ
إنما العمر نعيم وشقاءْ
يا فؤادي ، وهنا ضلّ الهوى !


مرابع الخلود

مَرابِعُ الخُلود

توطئة

لما انجلتْ من حُجُبِ الزَّمانِ مرابعُ الخُلودِ والمغاني
ضاق على النفسِ الكيانُ الفاني وعالمٌ يَغَصُّ بالأشجانِ
ويفجعُ القلوبَ بالأماني

لاحَ لها من الخلودِ ما استترْ وامتلكَ السَّمعَ عليها والبصرْ
وامتزجتْ مع النسيمِ في السَّحرْ وارتفعتْ على أشِعَّةِ القمرْ
شفَّافةً عُلْويةَ الألحانِ

ولم يَطُلْ بها المدى حتى دنا أبعدُ ما ترجوه من غُرِّ المنى

(*) ألقيت في حفلة الذكرى الألفية للمتنبي وهي الحفلة التي اقامتها جمعية العروة الوثقى في الجامعة الأميركية ببيروت في ٣١ ايار سنة ١٩٣٥ . وكان خطباء الحفلة الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، المرحوم معروف الرصافي ، الاستاذ سامي الكيالي ، الاستاذ شفيق جبري ، الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، الاستاذ انيس الخوري المقدسي .

هنا هيا كلُ الخلودِ ، وهنا كلُّ عظيمِ القدْرِ وضّاح السّنى
فانطلقتْ مُرْسَلَةَ العِنانِ

الخالدون

طافتْ على الملوكِ والقياصرهْ فانْقَلَبَتْ تقولُ وهي ساخِرَهْ
أضخمكم أسْطورةٌ أو نادرهْ وإنما الخلودُ للعباقِرهْ
جبابرِ النفوسِ والأذهانِ

للأنبياءِ أرفعُ المقامِ يُحَفُّ بالجلالِ والاكرامِ
وعندهم روائعُ الالهامِ فيها الهدى والنُّورُ للأنامِ
وغايةُ الكمالِ في الايمانِ

والشهداءُ بعدهم في المرتبهْ أهلُ الفدى في الأممِ المعذَّبَهْ
صَبَّ الشهيدُ دمَهُ وقرَّبَهْ يقولُ : إنَّ المهجَ المخضَّبَهْ
أدفع للضَّيمِ عن الأوطانِ

واجتمع السِّحْرُ الى الفتونِ بين رُبى الخلودِ والعيونِ
قرائحٌ من جوهرٍ مكنونِ تَشِعُّ بالعلومِ والفنونِ
وتغمرُ العالمَ بالاحسانِ

أولئـكَ الشموسُ والبـدورُ دائمـة الاشراقِ لا تغـــور
أفلاكـها ، ما كرّت الدهورُ ، الحبُّ والجمـــالُ والسرورُ
والخيرُ والحكمةُ في الانسانِ

في حضرة المتنبي

أصغَـيتُ للنفس تقولُ : ماليَـهْ طوّفتُ في الخلود كلَّ ناحيَـهْ
فما وجدتُ مثلَ تلك الرابيَـهْ مشرفةً على الوجـودِ عاليَـهْ
عاتيـــةً وطيـدةَ الأركانِ

رأيت ظِلاً شاملاً ظليـــلا يضُمُّ صَرحاً مائِـلاً جليلا
فارتدَّ طرفي عنهما كليلا اذا طلبتُ لهما تمثيـــلا
« فالحدَثُ الحمراء » في « بوّانِ »

رأيتُ بيضاً يعتنقْـنَ سُمـْرا هُنَّ النُّجومُ يأتلِـقنَ زُهْـرا
في يد كلِّ فارسٍ أغَرَّا يلتمسُ المجدَ الأثيلَ قَسْـرا
والمجدُ لن يكـونَ للجبانِ

رأيتُ غيداً من أعاريبِ الفلا حُمْـرَ الجلابيبِ غرائبَ الحِلى
خُلِـقْنَ من حُسْنٍ وفتنةٍ فلا تَطْـرِيَـةً ترى ولا تجمُّـلا
وهكذا فلتكن الغـــواني

ذاكَ الذي وقفْنَ عن جنبيْهِ   خلَتْ ملوكَ الأرض في بُرْدَيْهِ
أو الأنامَ تحت أخْمصَيْهِ   قِيلَ اُسْجدي خاشعةً لديْهِ
(فالمتنبي) سيّدُ المكانِ

إن كنتِ ممّنْ يصحَبُ الكتابا   ويأْلفُ الطّعانَ والضِّرابا
ويهجرُ النديمَ والشرابا   جئتِ أعزَّ خالدٍ جَنابا
وفزتِ بالاكرام والأمانِ

نكَستُ رأسي ودنوتُ أعثُرُ   فأين كسرى هيبةً وقيصرُ
بين يديْهِ أسدٌ غَضَنْفَرُ   عليه من ضربةِ سَوْطٍ أثرُ
يُغْني « ابنَ عمّارٍ » عن البيانِ

كافور خالد !؟

ومُضْحِكٌ مُشقّقُ الكعبيْنِ   أسْوَدُ ، لابيٌّ ، بمشفريْنِ
عهِدْتُهُ يُشَدُّ بالأُذْنَيْنِ   وقَدْرُهُ يُرَدُّ بالفِلْسَيْنِ
يومَ تَروُجُ سِلْعَةُ الخِصْيانِ

كانَ لمصرَ سُبّةً وعارا   يومَ أثارَ الشاعرَ الجبّارا
لم أدرِ هل كان الهجاءُ نارا   أم عاصفاً هيّجَ أمْ تيّارا
أمْ شُقّ ذاكَ الصّدرُ عن بركانِ

والحسد خالد ؟!

وَثَمَّ وحشٌ فمُهُ دامي الزَّبَدْ في جيدِهِ حَبْلٌ غليظٌ من مَسَدْ
قلتُ: ألا أسألُ ما هذا الجسَدْ ؟ قال: بلى؛ هذا غريمُنا الحسَدْ ..
مُرْتَبِكُ الأخْلاطِ في شيطانِ

رأيتُهُ يطمِسُ عينيْه العَمى سعيرُ قلبِه طغى عليهِ
قلتُ : وهذا خالد أيضاً ؟ فما أعجبَ أنْ يبقى الأذى ويسلما
وينعمَ الشرُّ بعُمرٍ ثانٍ !!

تبسَّمَ الشاعرُ ، ثُمَّ ردَّدا في الوحشِ نظرةً كأنَّها الرَّدى
قال : لئن نَكَّدَ عيشي بالعدى حتى دعوتُ ولدي (مُحَسَّدا)
فإنَّه مُخلَّدٌ في الهوانِ

تقدَّمي ، يا نفسُ ، واسأليني عن أثر المفتاحِ في جبيني
بدَّلني بكيدِهِ اللَّعينِ ذُلَّ الوِجار من حِمى العرينِ
حمى الملوكِ من (بني حمدانِ)

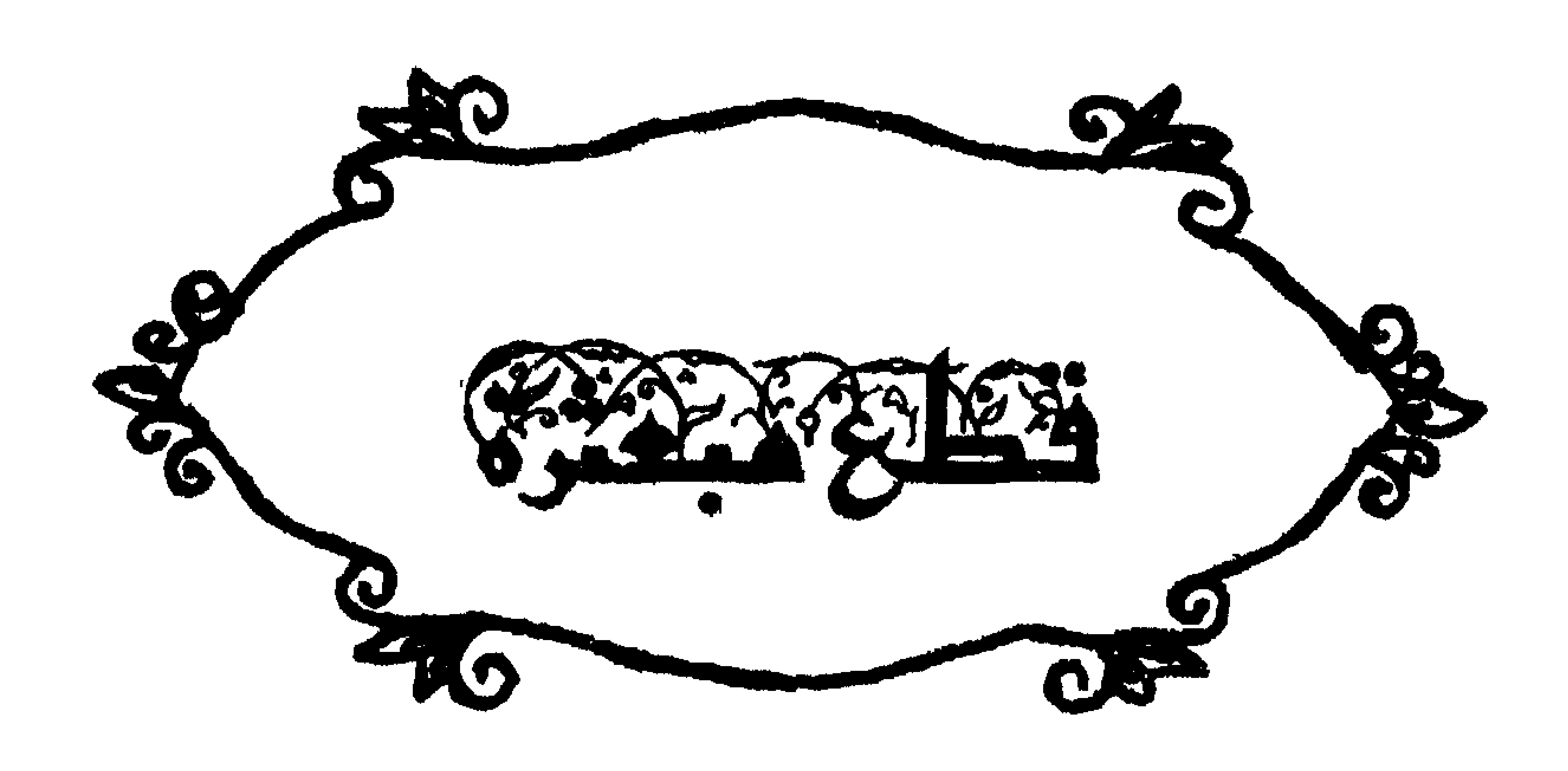
وما ابْتلى الحسودُ إلا جَوْهرا يتمُّ نوراً ويطيبُ عُنْصرا
والفضلُ لا بدَّ له أنْ يظهرا تُحدِّثُ الأعْصُرُ عنه الأعْصرا
وللحسودِ غمْرَةُ النِّسْيانِ

*

خاتمــة

عودي إلى دنياكِ ، دنيا العَرَبِ   بجذوةٍ تُضْرِمُ روحَ الأدبِ
وتغمرُ الشرقَ بهـذا اللَّهبِ   قد يستردُّ الحقَّ بعضُ الكتبِ
وقد يكونُ المجـدُ في ديوانِ





إلى هنا ينتهي (ديوان ابراهيم) كما رتبه هو وأعده للنشر. ولكني آثرت أن أضم اليه قطعاً شعرية أخرى وجدتها في مخلفاته لاعتقادي بأنها تكشف عن ناحية من حياته يهم الأدباء ان يطلعوا عليها. وجميع هذه القطع من الشعر العاطفي الغزلي وقد جمعتها في هذا الباب الأخير من أبواب الديوان.

احمد طوقان

الحبيب الذاهل

على لسان (م ....)

قم حبيبي وأطفىء المصباحا قد أباح الهوى لنا ما أباحا
حبّذا الاعتناق إن كانتْ الظلمةُ ستراً من دونه ووِشاحا
تَحْبِسُ العينَ عن مسلذّة مرآهُ ولكنْ تسرّحُ الأرواحا
قم حبيبي وأطفىء المصباحا

رقد الكونُ غير تلك العيونِ في السماوات ساهرات الجفونِ
لا تخفْها ؛ فلن تبوح بسرٍّ وسواها يُثير سوءَ الظنونِ
وأراها أحنى وأوْفى من الأهل ، وكم بينَ أهلنا من حؤون
لا تخفها ؛ وانظرْ لها باسماتٍ مبدياتٍ لنا وجوهاً وضاحا
قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا

كم سهرنا من قبل ليلاً طويلاً فشكا الصمتُ فيه منّا العويلا

وبغى البينُ أشهراً لا يبـالي ما نقاسيـــه صبـوةً ونحولا
فالتقيْنا ؛ إنَّ اللقـاءَ قصـيرٌ فانتهزْهُ وخلِّ عنـك الذهولا
ولْنودِّعْ تلك الهمـومَ اللواتي يتوثّـبْنَ في الدجى أشـباحا
قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا

هل نسيتَ الأسفار والأخطارا يا حبيبي وكـيف جئنا فرارا
غفلةُ النـاس مرةً نعمـةُ الحبّ ، ويا ليتهـا تكونـ مرارا
ويلك أسمعْ قلبَ الزمان فقد دقَّ ثلاثاً لا تستردّ قِصـارا
لَيَروعنَّـكَ الصبـاحُ إذا لاح قريبـاً ، فلا تقلْ كيف لاحا
قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا

اغفري لي ..

الى م ...

غفري لي إذا اتهمتك بالغــدر فقد كنت غائباً عن صوابي
غفري لي ، لعل ما كان مني صرخة الهول عند مرأى عذابي
و صدى اليأس رجّعته ضلوعي أو بكائي على أمـاني الشبابِ
لم تكوني كما زعمتُ ، ولكنْ هالني ما قرأتُــه في الكتابِ
لعمري رأيتُ منــك وفــاءً لم يكن فيـــه ذرّة لارتيابي
اغفري لي ما قلتــه في جنوني وتعــالي أشرحْ اليــك مصابي

رُبَّ صرحٍ ممرَّدٍ من أمـانيَّ أظَلَّ النجوم تحت جناحِـهْ
قد نَـمَتْ حوله الأزاهيرُ شتَّى وسقاها الهوى عـلالةَ راحِـهْ
فنزلنــاه آمنـــين زمانـــاً نجتـني من وروده وأقاحِــهْ
لم تُحرِّكْ منــه العواصف ركناً ولـكم خاب مثلها في كفاحِـهْ
ثم كانتْ يَدٌ ، سأسكتُ عنها هدَّمتهُ الى ســـواء الترابِ

أين تلك السماء ؟ هل كان ذاك الصرح فيها مشيّداً من سحابِ ؟

إغفري لي فإن أشقى المحبّين محبٌّ حياته ذكرياتُ
أينما كنتُ هيّج القلب ذكرى صوّرتها آثارُنا الباقياتُ
ما هنا ؟ إنها رسومُ دموعٍ ؛ وهنا ؟ آه إنها قبلاتُ
وهنا ؟ طائرٌ يُعيد حديثاً لم تغبْ عنه هذه الكلماتُ :
يا حياتي ، لا تغضبي ، وتعالي عانقيني وأقصري من عتابي
حسب قلبي عذابه ، فاغفري لي يا حياتي فقد لقيت عقابي

ذكرى *

جئتَ تتلو عليَّ صفحةَ ماضٍ متنها الحبّ والأسى بين صحفي
صاحِ دعْها ؛ وخذ سواها فإني قد تبيّنتُها لأول حرفِ
صاحِ دعْها ؛ فقد دفنتُ أمانيَّ ولهوي يا حسرتاه وقصفي
وخلتْ أضلعي فأمسى خليّاً غزلي في هوى الحسان ووصفي
وليالٍ ظفرتُ فيها من الدهر – على بخله – بنعمة عطفِ
ساهرٌ في ظلامها أقبس النورَ لقلبي بلثم خدٍّ وكفٍّ
فمٍ كلما شكا ألَمَ الوجد تَعَنَّقْتُهُ بقطفٍ ورشفِ
وجفونٍ ما بين قتلٍ بعنفٍ أنا منها وبين قتلٍ بلطفِ
صاحِ يكفي ! فقد تولّتْ ليالٍ شيَّعتْها المنى بربِّك يكفي

(*) بمناسبة رسالة أتاه بها صديق من اصدقائه .

الغرامُ الأوّلْ

عهـد غرامي الأولِ هيهات ما ترجع لي
أنتَ ومهجتي معـاً أنت وحـلو الأملِ
وليـلة زاهـرة سامرة بالقُبَـلِ
وهجعـة أحلامها صحَّتْ فلم تأوّلِ
على ذراع خَضِـلٍ عنـد فؤادٍ ثمـلِ
أنت وما أوْدَعْتَـهُ في يد ماضٍ مسبلِ
أنت وما أضعتَـهُ بين شعاب الكرملِ
هيهات ما ترجـع لي

إليهن ...

إلى ذات المنديل

نزيهة ليس للمنديـــــل فيما بيننا حاجهْ
وإن سرّكِ أن يبقى فأنوارك وهّاجـهْ
فيا مَنْ تأمر الحسن فيلقي دونها تاجهْ
لقد قطّعتِ بالدلِّ عرى قلبي وأوْداجهْ

إلى م ...

خلّفتُ قلبي فوق سفح (الكرملِ) حيرانَ يسألُ عنك أهلَ المنزلِ
خلّفته يهفو على غُرَفِ الهوى في شكل طير بينهم متنقّلِ
لم يعلموا ما سِرّه ، فإذا بكى حسبوه يضحك للربيع المقبلِ

إلى ل ...

أين الرسالاتُ والشوقُ ؟ فالجواب تأخّرْ
كم قلتِ: «شوقي كثيرٌ» أظنّ شوقيَ أكثرْ
أسائل البدرَ حيران عنك إن هو أسفرْ

ذكرتُ وجهك فيه والشيء بالشيء يُذكرْ
كوني بودّك كالبـــدر فهو يخفى ويظهرْ

إلى م ... أيضاً

إلى الحبيب الذي فـــاز غـيرُنا بوصالِهْ
ولم نفزْ منـــه إلاَّ بصـــدِّه ودلالِهْ
ومَنْ تعلَّمَ منـــه الصدودَ طيفُ خيالِهْ
هـلاَّ تجرِّب شيئاً من الهوى واحتمالِهْ
عساك تعرف ما قد عرفتُ من أهوالِهْ
عساك تسهد ، أفديك ، ليـلة من طوالِهْ
لكنْ أراك سـعيداً خـلِّ الشقيَّ بحالِهْ

إلى ذات العصابة الزرقاء

روحي فداء عصابة زرقـــاءِ لَمَّتْ شـعور مليحـة حسناءِ
ما زيّنَتْكِ وإنما زيّنْتِها بجوارهـا لجبينـك الوضّاءِ
ودُنوّها من مقـلة مكحولة فتّانةٍ ، فتّـاكةٍ ، حـوراءِ
إن الجمـال إذا تجمّع شمـله فالويـل كل الويـل للشعراءِ

دعاء

رَبِّ أطعمني غلاماً شاعراً
لدواعي الحسن مثلي مُذْعِنا
وليكنْ مجنونَ ليلى وليكنْ
طيِّبَ القلب ظريفاً لَسِنا
وليكنْ مثل أبيه ، إننا
لم نوفّرْ غادةً في شعرنا

الفهـــرس


Bibliotheca Alexandrina
0961391